عيد الحب في مصر
قراءة في الجدل الديني والثقافي

مجنون ليلى وعيد الحب.. أخلاقيات الحب والجنون في مصر

تأليف: صامولي شيلكه

ترجمه إلى اللغة العربية: عومرية سلطاني

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مراصد ٧
كراسات علمية محكمة تصدر عن وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية

مراصد

كراسات علمية ٧

عيد الحب في مصر
قراءة في الجدل الديني والثقافي

مجنون ليلى وعيد الحب.. أخلاقيات الحب والجنون في مصر

تأليف: صامولي شيلكه

ترجمه إلى اللغة العربية: عومرية سلطاني

مراصد ٧

كراسات علمية محكمة تعنى برصد أهم الظواهر الاجتماعية الجديدة لا سيما في الاجتماع الديني العربي والإسلامي، تصدر عن وحدة الدراسات المستقبلية بمكتبة الإسكندرية.

تأليف: صامولي شيلكه.

ترجمه إلى اللغة العربية: عومرية سلطاني.

عيد الحب في مصر
قراءة في الجدل الديني والثقافي

مجنون ليلى وعيد الحب.. أخلاقيات الحب والجنون في مصر

تأليف: صامولي شيلكه

ترجمه إلى اللغة العربية: عومرية سلطاني

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة– أثناء النشر (فان)

صامولي، شيلكه.

عيد الحب في مصر: قراءة في الجدل الديني و الثقافي / تأليف صامولي شيلكه ؛ ترجمة عومرية سلطاني – الإسكندرية، مصر: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، ٢٠١١.

ص. سم. (مراصد؛ ٧)

تدمك: 9-158-452-977-978

يشتمل على إرجاعات بيليوجرافية.

١. الاعياد. أ– سلطاني، عومرية. ب–مكتبة الإسكندرية. وحدة الدراسات المستقبلية. ج– العنوان. د. السلسلة.

ديوي – 394.2618 60038820115

ISBN 978-977-452-158-9

رقم الإيداع بدار الكتب 2011/19503

مقدمة

تملأ تعابير الحب كل الأمكنة في مصر اليوم. فلا يكاد فيلم يخلو من قصة رومانسية، وتحكي أغلب الأغنيات عن الحب. أشكال القلوب وجملة "آي لوڤ يو" I love you تزين المحلات التجارية والمنازل، وكتابات المحبين تغطي الجدران والجسور في المدن والأرياف على حدٍّ سواء. وتزدحم على شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية مضامين الرسائل الرومانسية في صور قلوب واعترافات بالحب وأقوال مأثورة (غالبًا باللغة الإنجليزية) حول ما يعنيه أن يكون المرء عاشقًا. وتعد المواعدة والمغازلة أمرين شائعين بين الشباب في المدن، كما يتمنى معظم الشباب المصريين الزواج ممن يحبون. يقف الحضور القوي للحب بين الشباب في كل مكان يعبر فيه هؤلاء عن أنفسهم، سواء كان ذلك في الشعر، أو عبر الكتابة على الجدران، أو على الإنترنت، أو في الأحاديث اليومية، يقف على تناقض صارخ؛ إذ يوازيه أيضًا حضور قوي مماثل لتفسير أخلاقي محافظ جدًا للدين لا يركز اهتمامه على حصر كل أشكال العلاقات الحميمية في الزواج (ويحرم بشكل قاطع أشكال المثلية الجنسية) فحسب، بل يتضمن موقفًا متحفظًا بشكل عام حيال العاطفة.

بالرغم من أن الحب يملك تقليدًا قديمًا في الدين الإسلامي فإن له موقعًا إشكاليًا في الخطاب الديني المعاصر حول الأخلاق العامة. ففي الروحانية الصوفية، تعتبر كلمة حب، التي تعني أيضًا التعلق والالتزام غير المشروط والشامل، حين يعبر المسلمون عن تعلقهم بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم (مثلما فعلوا ذلك علنًا في قضية الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية) تُعتبر مركزية جدًا. لكن، عندما ينتقل الأمر إلى مساحات التوتر الأساسية والحشد التي تتحرك فيها ظاهرة الإحياء الإسلامي – مثل قضايا النوع الاجتماعي والعلاقات الجنسية والتنشئة الاجتماعية – لا يصبح الحب فضيلة دينية مركزية. يظهر ذلك بشكل خاص عند الاتجاه السلفي الذي يملك تأثيرًا كبيرًا على الأفكار الدينية لدى الشباب في المناطق التي أجريت فيها هذا البحث؛ إذ كثيرًا ما ينظر إلى الحب بريبة كبيرة بوصفه رغبة غير أخلاقية تهدد قيمًا معينة مثل الخبرة الجنسية للأنثى، والهيمنة الذكورية والأبوية، ومسألة الفصل بين الجنسين.

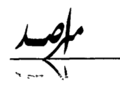
مع ذلك، فإن المسلمين الشباب الذين يستمعون إلى الدروس الدينية التي تحمل مثل هذه المضامين ويعتقدون مخلصين في قيم الفصل بين الجنسين وخبرة الجنس لدى النساء وسلطة الأسرة على الزواج، هم أحيانًا نفس الأشخاص الذين يستمعون إلى أغاني الحب ويتابعون المسلسلات والأفلام والأشعار الرومانسية، ومن يقعون أحيانًا في الحب – لحسن حظهم في بعض الأحيان ولسوء حظ في غالب الأحيان. وفي حين يحمل هؤلاء مثاليات الاحترام، والهرمية الاجتماعية، والأخلاقيات الدينية المحافظة،



فإنهم يتبنون أيضًا رؤية للحب بوصفه فضيلة ونمطًا للحياة الإنسانية التي تعني لديهم تثمينًا للالتزام الذي يصل إلى درجة الجنون والاستعداد للتضحية بأي شيء في سبيل الحب. لا يحيل هذا إلى أن الحب والتقوى والاحترام هي في حرب فيما بينها بالماهية، بل على العكس من ذلك، أكثر ما يشكل الحب، مثلما يصفه الشباب المصريون، هو موقعه الصعب في مواجهة الاعتبارات الأخرى. ومثل التقوى تمامًا، للحب أيضًا قوته الكبيرة بوصفه شكلاً من أشكال الوعد الذي لا يتحقق بسهولة، فالحب، في حياة المصريين الشباب، ليس متعارضًا بقدر ما هو مماثل لأنماط أخرى من الأخلاقيات، لكنها أخلاقيات يمكن أن تدخل في بعض الأحيان في حالة نزاع فيما بينها؛ بحيث يشكل ذلك مصدر انزعاج كبير للمعنيين بها.

في هذه الدراسة، سأتناول الحب الرومانسي باعتباره صنفًا من الأخلاق، المهم جدًّا، والحاضر بقوة، والذي يتواجد مع أنماط أخرى، مثل التدين والاحترام وصلة القرابة، في حالة من التوتر والتضارب في كثير من الأحيان. فالحب لا يتعلق فقط بمسألة الرغبة، إنه يشكل، مثل التقوى والسمعة، طريقة للتصور والحديث عن الأخلاق وعن الإنسانية وعن العلاقات بين الأشخاص. ولا يتوافق الحب بسهولة، بسبب تثمينه للانغماس في العاطفة الغامرة، مع الأيديولوجيات الدينية والاجتماعية والسياسية السائدة والتي تؤكد على مسائل الانضباط والاحترام، بل قد يكون الحب، بشكل حاسم ربما، موضوعًا حساسًا للغاية من وجهة نظر الانضباط الديني والاحترام العام. لكن الحب لا يعبر عن مفاهيم متنوعة جدًّا ككون المرء فردًا صالحًا أو مبدأ الخطأ والصواب فحسب، بل هو يقوم بذلك في خضم عمليات الإحياء الإسلامي أي في ميادين النوع الاجتماعي، والعلاقات الجنسية، والتنشئة الاجتماعية – وهي القضايا الثلاث الأساسية التي تحولت في أيامنا هذه، إلى الأساس الكامن الأكثر أهمية لشكل اليقينية التي يقوم عليها المشروع الأخلاقي للأسلمة.

شهدت أنثربولوجيا النوع الاجتماعي والعائلة والعلاقات الجنسية في أوروبا وأمريكا الشمالية اهتمامًا متزايدًا باتجاه البعد العاطفي في العلاقات بين الجنسين والعلاقات الجنسية والزوجية (Abu-Lughod 1996; Joseph 1999; Masquelier 2005; Wardlow, and Hirsch 2006; Padilla et al. 2007; Hart 2007; Marsden 2007; Bochow 2008; Cole, and Thomas 2009). يتجلى اهتمام هذه الدراسات الأساسي في أن الحب الرومانسي ليس ابتكارًا غربيًّا حديثًا انتقل إلى العالم في صورة حداثة وعولمة، بل يبدو، بدلاً من ذلك، أن الحب الرومانسي عرف منذ زمن طويل في العالم برمته، لكنه حظي بتنوع جديد بفضل ما انبرت الحداثة تبشر به، فكان أن ظهر الحب الرومانسي والمثل الأعلى للحب بين أفراد العائلة النووية بوصفه علامة دالة على ما هو حديث (Wardlow, and Hirsch, 2006; Hart 2007: 351; Padilla et al. 2007: xvii; Marsden 2007) سيطور "أيمون كريل" Aymon Kreil تفسيرًا خاصًا لهذه الظاهرة لاحقًا.



قد يبدو المعنى المتضمن هنا مألوفًا لدى القراء المصريين، ففي حين كانت الرومانسية دومًا حاضرة في الأدب العربي، فيبدو أن الطرق التي يصوغ بها الشباب التعبير عن الحب اليوم هي التي تعتبر حديثة؛ حيث تظهر في شكل مزيج انتقائي تمتزج فيه مثاليات متنوعة للحب تجمع بين تقليد كلاسيكي عربي يقوم على فكرة الحب المستحيل ونموذجه هو البطل – المريض بالحب الذي تمثله شخصية مجنون ليلى، وبين ميلودراما المسلسلات، وعيد الحب، والمثل الحداثية للأسرة النووية ذات الزوجة الواحدة. لفهم هذا الخطاب المركب جدًّا للحب الرومانسي، طورت هذه الدراسة من حول صورتين نموذجيتين للحب: قصة المجنون، والاحتفال بعيد الحب؛ وهما الطريقتان اللتان يستخدمهما الشباب؛ لإعطاء معنى لتجاربهم من العاطفة والتعلق وهي تجارب متناقضة في كثير من الأحيان. تعبر هذه الصور المثالية، والتجارب الشخصية وتجارب الحب، عن فهم يتعلق بالإنسان الصالح الذي يرتبط بشكل صريح بفكرة الاكتمال الفردي، والحداثة، وزواج الحب الذي يكتفي بالزوجة الواحدة. وغالبًا ما يؤول الأمر في النهاية إلى تحول في مسألة الزواج بصورة خاصة؛ بحيث يصبح من الصعب جدًّا التوفيق بينه وبين الحب الرومانسي، وهو تضارب مركزي في قصص الشباب المصريين وغالبًا ما يكون حله مستحيلاً.

العاطفة النقية

في كثير من قصص الحب التي أعرفها، الخيالية منها والواقعية، فإن الشعور الأكثر بروزًا ربما هو لهيب الحب، وهو شغف عاطفي يعترف الناس الذين جربوه عن طيب خاطر بأنه ضرب من الجنون. وفي حين يمكن للرجل أن يتحدث عن ذلك بصراحة أكبر، تميل النساء، اللواتي يمكن أن يتعرض احترامهن للتضرر بسبب قصص الحب الماضية، إلى فعل ذلك تحت شرط السرية التامة. ولأن التحدث عن قصص كهذه يمكن أن يتضمن بعض المعلومات الخاصة جدًّا، فإن ما يلي هو قصة خيالية تشبه كثيرًا من القصص الواقعية:

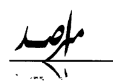
"م. شاب من شمال مصر التقى بـ ل. من المدينة المجاورة خلال دراستهما في الجامعة. لقد أحبا بعضهما وأمضيا معًا أوقات طويلة خلال سنوات دراستهما. حين أكملا تعليمهما خفت اللقاءات بينهما، لكنهما ظلا يتكلمان على الهاتف. م. في أوائل العشرينيات من العمر، لم يجمع بعد المال الذي يلزمه للزواج، لكنه ذهب رغم ذلك إلى والد ل؛ ليطلب يدها للزواج. رفض والد ل؛ لأن م. لا يملك أرضًا أو منصبًا حكوميًّا أو نسبًا عريقًا؛ ليثبت أنه سيكون زوجًا كفئًا ومحترمًا لابنته. م. ول. صمما على الزواج وواصلا الضغط على عائلة ل، لكن دون جدوى. في النهاية استسلم م. ووافقت ل. على الزواج من خاطب كان أكثر قبولاً لدى عائلتها. لم يتزوج م. بعد ويعمل؛ ليجمع مالاً لزواجه المستقبلي، لكنه لا يزال يشعر بحبيبته ل. بقوة ويحتفظ بصورتها في محفظته. بالرغم من أنه لم



يقابلها منذ أكثر من سنتين، فإنه لا يزال يبحث عنها بالقرب منه ويتردد على الأماكن التي كانا يقضيان فيها أوقاتهما معًا. لقد ذهبا في إحدى المرات إلى مباراة "الإسماعيلي"، ناديها المفضل لكرة القدم، وقد أصبح منذ ذلك الوقت مشجعًا حماسيًّا لهذا الفريق. حين يذهب إلى مباراة في الملعب، يجلس دائمًا في المكان الذي كانا يجلسان فيه معًا. إنه الآن يعمل في نفس المدينة التي تعيش فيها ل. وغالبًا ما يعرج في طريقه من العمل، على الأقل مرة في الأسبوع؛ ليمشي بالقرب من منزلها. إنه يعترف أن سلوكه "مجنون"، لكنه يبدو غير قادر أو غير راغب في التخلي عن جنونه بها. ل. من جهتها لم تخبر زوجها أبدًا عن حبها لـ م. (بالرغم من أنه يمكن أن يكون على علم بذلك، أو على الأقل لديه حدس ما حول هذا الموضوع). بالرغم من أن ل. ليست تعيسة مع زوجها، فإنها لا تزال تحمل مشاعر قوية تجاه م. وقد سمت ابنها المولود حديثًا بنفس اسمه."

ربما تكون هذه رواية دراماتيكية جدًّا من قصة الشغف الرومانسي. في روايات أخرى، يمكن للطرفين أن يتزوجا بنجاح، سواء تم ذلك برضا عائلتيهما أو بدون موافقتهما. ويمكن لأحد الطرفين في القصة أن يوصف بجنون الحب حين يكون الطرف الآخر بعيدًا جدًّا. ثم في روايات أخرى للقصة أيضًا يمكن أن يكون لهيب الحب عابرًا؛ بحيث يمكن للأشخاص الذين انخرطوا فيها أن ينظروا للوراء ويتساءلوا عن نوع "الداء" الذي أصابهم. ما تشترك فيه كل هذه الروايات من قصص الحب هو مركزية، والاحتفاء بالشوق العاطفي من حبيب نحو الطرف الآخر. وفي حين يفترض في الحب أن يكون متبادلاً فإن ذلك لا يشكل شرطًا له، فالحب الذي لا يجد إجابة من الطرف الآخر هو في نفس درجة الحب الذي يتحقق له الاكتمال.

كل مَن مرَّ بتجربة حب يمكنه أن يعترف من دون شك بمثل هذا الشوق العاطفي والمهووس أحيانًا تجاه شخص ما. لكن كثيرًا من المصريين، من الشباب كما من الأكبر سنًّا، ليس فقط أن لكل منهم تجربة مع الشغف العاطفي، بل هم أيضًا يحتفون ويحتفلون به كلحظة أساسية من الحب الحقيقي. الأدب العربي، والشعر، والثقافة الشعبية، مليئة بالشخصيات الرومانسية وقصص الحب، لكن واحدة منها تقف لتعبر عن شخصية العاشق المهووس بشكل يفوق غيرها من الشخصيات: مجنون ليلى. المجنون هو الاسم الذي أطلق على "قيس بن مولاه الأميري"(مات عام ٦٨ بعد الهجرة)، وهو البطل والكاتب الشهير لمجموعة من قصائد الحب العربية القديمة. وبينما يبدو غير مؤكد فيما إذا كانت الأبيات المنسوبة إلى المجنون تعود لكاتب واحد بعينه، إلا أن القراء العرب المعاصرين للمجنون يعتقدون جميعًا بأنه الشخص التاريخي ومؤلف الأشعار التي يروي فيها قصة حبه. هناك روايات مختلفة للقصة، لكنها تشترك جميعها في القاعدة نفسها: قيس(المجنون) وليلى كانا يعرفان بعضهما منذ سن الطفولة، وقد وقعا في حب بعضهما. لم



يتمكن المجنون من الزواج من ليلى، وهي كانت موعودة من قبل والدها لرجل آخر. سافرت ليلى مع زوجها الجديد إلى منزله؛ حيث مرضت وماتت، أما المجنون الذي بقي وحيدًا فقد ضاع منه عقله فعاش في الصحراء مع وحوشها، وهو يروي لهيبه وشوقه الكبير لليلى في قصائد من الشعر.

تنتمي الأشعار التي تنسب للمجنون لنوع يسمى شعر الحب العذري الذي اشتهر في الشرق الأوسط من زمن العصر الوسيط. المميزات الأساسية الخاصة بالرومانسية العذرية هي طبيعتها غير المكتملة، وغير السعيدة، والاحتفاء المتزامن بالنقاء والجنون في الوقت نفسه. الحب في الطريقة التي يجسدها المجنون نقي لسببين اثنين: لأنه مطلق؛ ولأنه لم يتحقق. وبالرغم من أنه يقف بشكل كبير على خلاف مع القيم الاجتماعية للاحترام والسلطة الأبوية فإنه لا يقدم أي بديل عملي لها البديل العملي يمكن أن يكون الفرار مع الحبيبة، (Marsden, 2007). هذا مما يمنح الشغف الرومانسي الذي يجسده المجنون غموضًا غريبًا، فهو يتأرجح ما بين الاستعداد لفعل أي شيء من أجل الحبيب، ونوع من التعارض المحتشم بين مثالية الحب وبين العلاقة الحميمية الفعلية.

"عباس"، هو طالب في القاهرة. كانت لديه صديقة حميمة لسنة أو سنتين ثم انفصل عنها، ومنذ ذلك الحين نمت لديه نظرة للحب فيها الكثير من النقد وخيبة الأمل. إنه يجادل بأن الحب الحقيقي في سبيل الطرف الآخر يوجد فقط في السينما والكتب، وأن ما يسميه الناس حبًّا ليس سوى غريزة جنسية. لكن حتى عندما يبدو "عباس" مقتنعًا بأن الحب الحقيقي نادر في أيامنا هذه، فإن لديه فكرة واضحة جدًّا بشأن ماهية الحب الحقيقي: تلك التي تعني الاستعداد لجعل الطرف الآخر الشيء الوحيد الذي يهم في حياة المرء، و بغض النظر عن أي شيء آخر:

"أنا بعرف حد بيلعب في النادي الأهلي... قال لي مرة: "في بنت بتحبني بجنون، تحبني لدرجة إنها بتبقى عايزة تشوفني كل يوم". أظن أن دا أقرب حاجة للحب الحقيقي. هو قال لي إنه مرة رفض يشوفها بعد خناقة حصلت بينهم وأنها حاولت ترمي نفسها قدام عربية (...). أنا قابلتها وسألتها: "هل دا حصل فعلاً؟" قالت: "أيوة هو دا اللي حصل فعلاً. أنا حسيت إنو إذا كان هو زعلان مني فما عنديش سبب عشان أعيش عشانه". قلتلها:"واو! دي بقى Love Story، أنا عايز أقابل واحدة كده". قلت ودا بالضبط اللي هي قالته: " لما تحس إنو في الحياة كلها مفيهاش حاجة غير الإنسان اللي أنت بتحبه، ساعتها يمكن تقدر تعمل حاجة زي دي". دا يبقى هو الحب الحقيقي (...)"

بالنسبة لعباس، فإن معنى الحب النقي يأتي بوضوح جنبًا إلى جنب مع تثمين للعذرية وخبرة الأنثى؛ حيث الفتاة التي توافق اليوم على علاقات حميمة تثبت أنها ليست أهلاً للحب. لكن ربما سيكون من



الخطأ اختزال هاجس الحب الرومانسي في عقيدة حول العذرية. فحين يكون "الحب الحقيقي" في نظر "عباس" هو المعاكس لممارسة الجنس، فإن ذلك لا ينفي عن الحب أنه قد يكون غير منضبط أو غير مسئول. فتثمين العاطفة المهووسة التي يمكن أن تكون مدمرة للذات، أو تتميز بغيرة عنيفة، يؤسس الحب كقيمة في أنقى أشكالها، تلك التي تعني إمكانية الشعور والمعاناة في سبيل الطرف الآخر. على هذا النحو، فهي ستقف بشكل صريح في تعارض مع اعتبارات أكثر "عقلانية"، مثل مبدأ الاقتصاد، والواجبات العائلية، والسمعة. هذا يبدو واضحًا بشكل خاص عندما ننظر إلى الاحتفال بالحب الأول الذي ينظر إليه المصريون بوصفه تجربة الحب الحقيقية. ينسب "عربي"، وهو شاب من مدينة صغيرة في شمال مصر، في السادسة عشرة من عمره، ذلك بشكل جزئي إلى النفسية الإنسانية، وجزئيًا أيضًا إلى قيود المجتمع العربي التي تساهم في الطبيعة "الاستحالية" والتعيسة للحب:

"الحب الأول هو التجربة الأكثر استدامة للحب. الحب الأول الذي يعرفه المرء في سنوات المدرسة الأولى في بدايات سن المراهقة هو عاطفة قوية ونقية. لا علاقة لهذا الحب بالعقل أو بالمنطق؛ لأنه يأتي بشكل عفوي. لكنك عندما تكبر تبدأ في التفكير بالزواج وعما إذا كنت ستلتقي بالزوجة الصالحة. تفكيرك يصبح أكثر اتساعًا. تبدأ بالتفكير بعقلانية أكبر لكن الحب الأول يترك آثاره القوية واللاحقة. إن هذا يشبه أن ترسم سطرًا في ورقة بيضاء، فمهما رسمت فيها من خطوط لاحقة لن تستطيع أن تمحو السطر الأول (...).

في المجتمع العربي هناك عدة قيود حول الحب. أستطيع الذهاب لامرأة وأقول لها إني أكرهها ويعتبر هذا مقبولاً، لكني لن أستطيع أن أقول لها إني أحبها بالرغم من أن الثانية يجب أن تكون أفضل ما قد يقال لشخص ما. لكننا نقول أيضًا إن" كل ممنوع مرغوب"، فالحرمان الذي يخلق عبر القيود يجعل الحب أيضًا أكثر كثافة. هذا الحب من طرف واحد الذي يقوم على الألم يوصف أيضًا في الكثير من قصص الحب مثل مجنون ليلى وعنترة وقصص أخرى، أو أيضًا في الأدب الأوروبي مثل روميو وجولييت. الحب الحقيقي تضحية."

تثمين الحب الأول والمعاناة والتضحية في التفسير الذي أورده "عربي" ليس مجرد امتداد للنظام القائم على السلطة الأبوية؛ إنه يشكل، بدلاً من ذلك، عاطفة إنسانية عالمية يستثمر فيها الناس بغض النظر عن القيود الاجتماعية، لكنه يتشكل أيضًا عبر هذه القيود. حب المراهقة الأول في هذه النظرة هو" العاطفة النقية العفوية" التي لم تضبطها بعد قيود القيم الاجتماعية – العملية التي يراها "عربي" تبدو ضرورية ومؤسفة في آن واحد.



صراعات خفية

بينما لا يزال المصريون الشباب كما الأكبر سنًّا يتعرفون على أنفسهم عبر قصص المجنون وليلى، هناك الكثير مما يجري في قصصهم العاطفية مثلما يوضحه النقد الملتبس الذي يقدمه "عباس" للمواعدة والمغازلة. تجدر الملاحظة عند النظر إلى القصة الخيالية التي أوردناها آنفًا، أنه على خلاف المجنون وليلى فإن العشاق المعاصرين حاليًا لديهم فترة، ربما تطول، من المواعدة والمغازلة. يمكن أن تكون هذه الفترة قد تضمنت درجة كبيرة من الحميمية، وحتى من ممارسة للجنس، وربما تحت غطاء الزواج العرفي السري. جزء كبير من الحب في مصر لا يظل تمامًا غير قابل للتحقق حتى لو كان لا يؤدي إلى الزواج. وأيضًا، حينما يوافق المصريون في غالبيتهم على أن أول خطوة هي الأعمق فهذا يعني أنه بعد حب المراهقة الأول يمكن أن تكون هناك قصص حب أخرى.

هناك في الواقع ثقافة مزدهرة، وإن كانت غير مستقرة من المعاكسة والمغازلة والمواعدة والحكايا السرية في المدن، وبدرجة أقل في الأرياف. وعلاوة على ذلك فإن كثيرًا من المصريين حاليًا يفضلون الزواج ممن يحبون، على الأقل في شمال مصر؛ حيث اقتران الحب بموافقة الأهل أصبح ينظر إليه بتزايد على أنه النموذج المثالي للزواج. تتضمن ثقافة المغازلة كما الحياة اليومية للزيجات التي تتم عن حب تعاملاً مع فكرة الحب تستلهم، لكن عبر طرق عديدة، من المثل الأعلى الذي يجسده المجنون للعاطفة النقية. ساهم هذا، مضافًا إليه النماذج الجديدة من الحب التي توفرها وسائل الاتصالات الحديثة، في تحول بالغ الدقة في الطريقة التي يعبر بها الشباب المصريون عن الحب بوصفه تجربة ونمطًا؛ ليكون المرء إنسانًا.

يشكل عيد الحب أو "فالانتاين داي" اليوم الأكثر أهمية للعشاق في مصر ومثلهم كثيرون في العالم. هذا ما سيدرسه "كريل" Kreil بإسهاب لاحقًا، وكما توضحه المشاركة التي سيقدمها "كريل"، يشكل عيد الحب اللحظة النموذجية لثقافة المواعدة ورسائل الحب والرومانسية الخفيفة التي أصبحت مرتبطة بكون المرء "حديثًا" في مواجهة الصورة النمطية عن الشخصية المادية والمعادية للرومانسية "المتأخرة" أو "الشرقية". تحقق المحلات أفضل مبيعاتها في يوم عيد الحب بفضل هدايا صغيرة تميزها قلوب حمراء ورسائل إنجليزية مثل عبارة I Love You . لكن كثيرًا من احتفالات عيد الحب إن لم يكن معظمها تتم في سرية عبر رسائل نصية واتصالات هاتفية ورسائل إلكترونية. وجود درجة من السرية هي ربما الميزة الأكثر بروزًا للمغازلة والمواعدة في

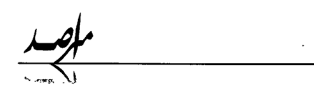


مصر، خاصة في الأرياف؛ حيث إمكانات اللقاء بين الشباب والفتيات مقيدة بكثافة بسبب اعتبارات الاحترام والسمعة.

السرية هي في الواقع الميزة الرئيسية للحب إضافة إلى الشغف الرومانسي. لكن بخلاف الجنون الذي هو، في النمط العذري على الأقل، حب من جانب واحد وغير قابل للتحقق، فإن السرية هي الشرط الذي يمكن من اجتماع الطرفين معًا ويمكن للحب حينها أن يكتسب علاقة حميمية متبادلة. هناك حاجة إلى السرية والتكتم عند اتخاذ كل خطوة: للحصول على رقم الهاتف، وللاتصال، ولتدبير لقاء، ولحشد الدعم من الأقارب لأجل الزواج. لا تعني السرية الخروج عن سلطة الوالدين، بل أكثر من ذلك يمكنها أن تكون طريقة لحماية الحب عبر تجنب المواقف التي يمكن أن يواجه فيها مساومة أو تحديًا. على عكس الالتزام غير المشروط فإن المصريين الشباب لا ينظرون إلى السرية كفضيلة في حد ذاتها، لكن كطريقة ضرورية لتجنب صراعات وفضائح معنوية؛ كذا يجادل "حكيم" وهو شاب غير متزوج من الريف في منتصف الثلاثينيات من العمر: "في أوروبا تقدر تعمل علاقات زي ما أنت عايز، دا سهل جدًا. هنا يمكن برضه تمارس علاقات جنسية بس هتبقى قلقان عشان مسألة الاحترام، و اللي بيقوله ربنا، ومن كلام الناس، ومن إنك ترتكب الزنا. إنت ممكن تعمل الحاجات دي على كل حال بس هتعملها في السر بعيد عن الناس."

رسائل الحب السرية، والقلوب الحمراء في عيد الحب، ومثلها اللقاءات السرية (الآن أصبحت هناك الفضاءات المختلطة في أماكن العمل والمؤسسات التعليمية؛ حيث اللقاءات فيها سهلة) وشئون الحب وترتيباته، تعني أن هناك تحولاً في الاهتمامات الخاصة بالحب على مستويين اثنين. على المستوى الأول، هناك شيء ما من الثقافة المنتشرة على نطاق واسع تتضمن نوعًا من الرومانسية السهلة التي لا تتطلب التزامًا عاطفيًا، لكنها يمكن أن تظل في مستوى المرح الممتع والمغازلة المشروطة بالتعقل. في مستوى آخر، مع ذلك، يمكن أن يؤدي الجمع بين الحب والرومانسية وبين نموذج الزواج من امرأة بعينها إلى تحول الاهتمام بشأن ما كان ينظر إليه العاشقان بوصفه نموذجًا عن الحب الحقيقي نحو صراع يمكن أن ينتهي بالنجاح في سبيل الزواج من الحبيب.

في هذا المعنى تجادل "نجاة"، وهي امرأة في أوائل العشرينيات من العمر، خطبت مرتين، وفي المرتين تركت القرار علنًا لعائلتها، لكنها احتفظت في الواقع بدور فعال جدًا خلف الكواليس، تجادل بأنه إذا كان حب المراهقة الأول بسيطًا، ورقيقًا في سن الأحلام الوردية، فإن الحب الفعلي له علاقة بالصراع:



"لما الناس بيكونوا في سن الستاشر سنة (١٦ سنة) بيحبوا يحسوا إنهم في حالة حب، يكتبوا رسايل حب ويعيشوا إحساسهم. بس بعدين بيبتدوا يفكروا في الجواز في إنهم يضحوا ويكافحوا عشان يتجوزوا اللي بيحبوه".

هذا معنى مختلف عن التضحية عن ذلك الذي طرحه "عربي" سابقًا. تجادل "نجاة" بشأن الحب كتضحية في سبيل شيء ما، وليس التضحية في حد ذاتها. وبينما لا تزال روايتها عن الحب تعني تثمينًا للمعاناة والتضحية، فإنها تتضمن أيضًا مطلب الاكتمال. ويرتبط هذا المطلب بالمقابل بشكل وثيق مع مثاليات التحديث الصريحة التي تدعو إلى زواج الحب والعائلة النووية التي تقيم بعيدًا عن منزل الوالدين، وهي المثاليات التي جاءت؛ لتكمل، وليس لتحل محل الممارسة التي يتضمنها الترتيب الجماعي للزواج بما يحمله من معنى التتويج لعملية توحيد بين عائلتين.

وتمامًا مثلما وفر التراث الأدبي للمجنون لأجيال لا تحصى من المحبين نموذجًا لمشاعرهم، فإن الثقافة الشعبية المتعولمة عبر وسائل الاتصال أصبحت مصدرًا لصياغة هذا التحول الدقيق في الاهتمام بالحب. أحد هذه المصادر – وإن كان هذا لا يعني أنه الوحيد بشأن الأفلام العربية والمسلسلات التلفزيونية يمكن العودة إلى: (Abu-Lughod 2005)، هو السينما الهوليودية. الأفلام الأمريكية كانت تحظى دائمًا بشعبية في مصر، والآن أصبحت أكثر انتشارًا من أي وقت مضى بفضل القنوات الفضائية العربية المتخصصة في بث الأفلام والمسلسلات الهوليودية. "توفيق" و"فاروق" القادمان من الريف في شمال مصر هما من أكبر المعجبين بالأفلام الأمريكية، ويقولان: إن هذه الأفلام تغير نظرتهما للحياة بما تقدمه من تشكيلة واسعة في نماذج العاطفة والفعل:

"توفيق: وسائل الإعلام ليها تأثير كبير في أفكار الناس عن الحب. أنت بتشوف أفلامًا وهي بتديك أفكارًا."

سامولي: هل دا يعني إن قصص وشخصيات الأفلام هي أمثلة عن الحاجات الممكنة؟

"توفيق وفاروق: أيوة."

فاروق: (...) فيه فيلم بالتحديد أنا حبيته فعلاً وهو إداني فكرة قوية عن الحب. أنا سمعت عن الفيلم دا من توفيق أول مرة وبعدين شفته في CD. الفيلم كان اسمه "مدينة الملائكة" City of Angels. دا فيلم كان حقيقي قوي. في الفيلم دا فيه ملاك بيسيب مكانه في الجنة وبيتخلى عن خلوده وينزل عشان يعيش ويموت في الأرض كإنسان بس عشان هو حب واحدة. بس هي في يوم ماتت في حادث. تخيل التضحية

دي! دا اتخلى عن حياته الخالدة عشان كل اللي كان عايزه هو إنو يلمس شعرها، لما كان ملاك كان يدوب بيقدر يشوفها."

"فاروق" و"توفيق" كلاهما كان مفتونًا بالشكل المأساوي والقوة الكبيرة للحب الذي قدمه فيلم مدينة الملائكة City of Angels (١٩٩٨)، وهو إعادة إنتاج أمريكية لفيلم الألماني "فيم فاندرز" Wim Wenders "أجنحة الرغبة" Wings of Desire (١٩٨٧). لا يبدو موضوع الحب الذي يقوم على التضحية الذي يتناوله الفيلم بأي شكل غريبًا عن مخيال الثقافة الشعبية المصرية. بل بالتحديد هنا تكمن قوة قصة الحب في الفيلم: أنها ليست مألوفة تمامًا وليست أجنبية بالكامل؛ إنها تمس أدبياتٍ معروفةً ومتعارفًا عليها وتجاربَ شخصية، لكن الفيلم كان يتناولها من منظور جديد وغير مألوف.

ما يجعل "مدينة الملائكة" "قويًّا" من وجهة نظر المشاهدين المصريين، هو الطريقة التي يربط بها بين مثالية الحب الحقيقي بوصفه استعدادًا للتضحية بأي شيء في سبيل الحب، وبين فكرة النضال من أجل شيء ما، حتى لو كان الأمر يتعلق بمجرد لحظة قصيرة من الاكتمال. لقد تحول بطل الفيلم من ملاك إلى إنسان في سبيل يوم واحد وليلة واحدة مع محبوبته، وهذا ترف مما لم يمنح مثله للمجنون. لكن التحول من حب مستحيل إلى صراع في سبيل تحقيق الاكتمال لا يقلص من جاذبية الشغف الرومانسي، إنه فقط يكسبها اتجاهًا جديدًا، وهي النقطة التي توضحها القصيدة التي نظمها الشاعر المصري المعاصر "محمد سعد شحاتة" والمعنونة بـ "تحية واجبة لمجنون ليلى (Shehata 2002: 36)

يا صديقي
كنتَ رائعًا وأنت تحبها
ولم تكن ليلى عليك بخيلة
كانت تسمح لطيفها
كل ليلة بأن يزورك
وكانت تمنحك من ابتساماتها
حروف قصائدك
فكم حرفًا كتبت لتؤنس وحدتك؟!
XXX

يا صديقي
كنت رائعًا
وأنت برغم كل الحواجز تراها
فتحاورها بما تملك
وتعرفه!
والآن..
بعد أن مضت كل هذه السنين
تغيرت الصحاري كثيرًا
سكنها آخرون
لكن حبك الرائع
نيابة عن كل العاشقين
ظل ينشد:
"يا رب قرِّب دار كل حبيب"..

هذا الدمج بين الشغف الرومانسي وبين الحب المكتمل بعيد عن أن يكون أمرًا سهلاً. "فؤاد" شاب في بداية الثلاثينيات من عمره، انتقل من الريف إلى العاصمة؛ حيث يعمل أستاذًا، تزوج من المرأة التي أحبها، وهو لم يواجه، بخلاف آخرين في نفس ظروفه، أية مقاومة سواء من عائلته أو عائلتها. لكن صراعه كان ذا طبيعة مختلفة:

" إنك تكون متجوز من البنت اللي بتحبها دا بيخلي الحب في حالة توتر كبير: إنت بتبقى عايز تدلع حبيبتك، إنك تحافظ على الحب النقي المثالي اللي حبيتهلها. بس إنت متجوزها في كل المشاكل والتفاهات بتاعت كل يوم. تلاقي نفسك عايش مع اتنين، مراتك وحبيبتك. وكتير ما الزوجة هي اللي بتغلب بين الاتنين لما مصاعب الحياة بتضطرك تفكر في الحاجات المادية. وزي ما بيقولوا "لما يدخل الفقر من الباب ينط الحب من الشباك" . بس دلوءت الفقر مش بيخلي الحب ضعيف بالعكس دا ممكن حتى يخليه أقوى. أنا في أوقات ببقى محتاج أكون قريب منها عاطفيًا، بس أنام جنبها من غير ما ألمسها. ببقى محتاج أوقات تكون هي فيها ضعيفة بس هي كزوجة وكأم محتاجة تكون قوية، محتاج أكون رقيق بس عشان أقدر أكمل في الحياة محتاج أكون صلب."



هكذا، وعندما أصبح "فؤاد" وزوجته قادرين على إقامة علاقة عاطفية مستقرة بالرغم من التوترات بين الحب المثالي والزواج، آخرون كثر كانوا قد أصيبوا بخيبة أمل حين انتقلوا من علاقة الحب المثالي في مرحلة الخطبة نحو الحياة اليومية في الزواج. تشكل هذه الهشاشة ثمنًا للحب في كل مكان من العالم يظهر في أعداد متزايدة من نسب الطلاق. في مجتمع مثل مصر؛ حيث مثالية العاطفة النقية ومبدأ السرية يخبرانا بشأن تطلعات الناس وممارساتهم فيما يتعلق بالحب الرومانسي، يصبح التناقض بين التطلعات وبين الحياة اليومية بشكل خاص، مقلقًا.

تناقضات مأساوية

تثمين الشغف الرومانسي كما الرومانسية الرقيقة في عيد الحب، كلاهما يقف في حالة من التوتر مع التوقعات المرتبطة بالأخلاق المحافظة في مجال العلاقات الجنسية وقرارات الأسرة بشأن الزواج، كل منها بطريقة مختلفة. يقع الحب الهوسي الذي يجسده المجنون خارج إطار المعايير بوصفه مبدأ؛ حيث يقع تحدي أي شيء، حتى لو كان الإله، في سبيل الحب. هكذا، هو حب يبقى تقريبًا وعلى الدوام حبًّا مستحيلاً، فطبيعته الاستحالية – هذه هي التي تجعل من الممكن أن يتشارك فيه الناس، وأن يعايشوه إلى درجة ما خاصة حين يكون المرء متمسكا بمثاليات تقترب من الكمال وصعبة التحقيق بشأن الحياة العائلية المحافظة والالتزام الديني – تتسم بأنها يمكن أن تستبعد كليًّا إمكانية الشغف الرومانسي في حياة الفرد. الرومانسية التي تتحقق حاليًا في عيد الحب، من جهتها، تعتبر إشكالية بالنسبة للنظام المحافظ بسبب نتائجها العملية، ذلك أن عيد الحب يفتح فضاءات في الحياة اليومية؛ حيث يمكن للمرء أن يحب، وأن يجتمع بمن يحب، وأن يوفر مكانًا لشخص ما في قلبه، حتى لو لم يكن ذلك مما هو متاح عادة في حياة الفرد.

ربما سيكون من السهل محاولة إجراء تحييد لمناطق التعارض مع المعايير في موضوع الحب حين ينظر إليه كحالة من الرغبة في مواجهة هدف أخلاقي أعلى يتضمن القيام بما هو صحيح وتنمية الفرد الصالح. في ضوء هذه الرؤية، التي تعتبر في بعض الأحيان جزءًا من الحجج الدينية تجاه الرومانسية، هناك تعارض أقل أو أكثر وضوحًا بين الأهداف الأخلاقية والرغبات غير الأخلاقية. هذه الطريقة على كل حال ليست هي التي يستخدمها الناس للحديث عن الحب في مصر. فبينما ليس هناك شك في أن الرغبة الجنسية والرومانسية هي جزء أساسي في الحب، إلا أن هناك ما هو أكثر من ذلك في هذه المسألة، فالحب الذي تحدث عنه الشباب المصريون وجربوه، ينطوي على أخلاقية من تلقاء نفسه تصف ما يعنيه أن يأتي المرء بالتصرف الصحيح وأن يكون إنسانًا جيدًا.



حين يتحدث المصريون عن الحب فهم يصفون ويقيمون الحب كواحدة من أهم اللحظات المميزة التي يمكن أن يعيشها الإنسان. إنهم يجادلون بأن قدرة المرء على أن يحب تعد فضيلة. ليس أدل على هذا مما عبر عنه "فؤاد" الذي، حين سألته بشأن وجهة نظره في الحب، اقتبس هذا القول المأثور الذي يقول: «من لم يصلح للحزن لا يصلح للحب، ومن لا يصلح للحبّ لا يصلح أبدًا». بكلمات أخرى، القدرة على الإحساس بالحزن والألم في سبيل شخص آخر هو شرط للحب، والحب شرط ضروري ليكون المرء قادرًا على أن يصبح شخصًا جيدًا.

كل هذه الاعتبارات تشترك في لحظة تحمل صفة مميزة هي الألم. في كثير من الأحيان، يتعارض الحب مع الاعتبارات الأخرى وغيرها من المثاليات والأهداف التي تتعلق بما يعنيه أن يصبح المرء صالحًا وأن يفعل الصواب وأن يكون شخصًا محترمًا في المجتمع. وإضافة إلى الالتزام بمثاليات الرومانسية كما يفعل الشباب المصريون في كثير من الأحيان، فإن بإمكانهم أن يكونوا مقتنعين جدًّا، وفي الوقت نفسه، بضرورة الفصل بين الجنسين، وبالتحريم المطلق للزنا في الإسلام، وبأهمية العثور على الشريك الذي يحظى بقبول العائلة ويكون مناسبًا؛ من حيث المكانة الاجتماعية. هذا الأمر ليس بالشيء الاستثنائي. فمن الشائع والطبيعي جدًّا أن يحمل الأفراد أهدافًا ومثاليات مختلفة؛ ليُنَمُّوا خطوطًا متشابهة وأحيانًا متناقضة من سمات الشخصية لديهم، وأن يجربوا مواقع مختلفة، وأن يجادلوا لصالح قيم مختلفة بواسطة منطق مختلف في مواقف مختلفة.

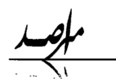
لا تظهر مثل هذه التوترات والاختلافات بالضرورة كتناقضات في حياة الأفراد. فتثمين الحب الأول النقي والمستحيل، والسرية التي تحيط باللقاءات الرومانسية الحالية، كلاهما يساعدان على تجنب الصراعات التي قد تنشا بين الحب وبين المثاليات الأخرى، التي غالبًا ما تكون مختلفة جدًّا بشأن ما يعنيه أن يكون المرء إنسانًا لذاته ولأجل الآخرين. لكن هذه النزاعات تظل بلا حلول، وأحيانًا تحتاج لأن تبقى دون حلول. الحب، مثله تمامًا مثل التقوى، يتمتع بالقوة، جزئيًّا كتجربة وجزئيًّا بوصفه وعدًا، عندما يكون أشبه بالوعد فيمكنه إذ ذاك أن يتخذ شكل السلطة العليا التي تتحكم في كل شيء، أما كتجربة فهو يتواجد عادة في تعايش معقد، ومتوتر في كثير من الأحيان جنبًا إلى جنب مع كل شيء. لكن في بعض الأحيان، لا يمكن تجنب الصراعات، ولابد من اتخاذ للقرارات، ولا تكون الصراعات والتناقضات بين الحب الرومانسي، وموضوع العلاقات الجنسية، والاحترام، والترابط الأسري، أقوى وأكثر استعجالية كما هي في النضال من أجل الزواج بين المحبين.



لا تنتهي معظم قصص الحب في مصر نهاية سعيدة؛ إما لأن المحبين لم ينجحوا في الزواج بسبب ضغوط مالية وعائلية مكثفة؛ أو لأن الزواج بعد الحب يمكن أن يتحول إلى جحيم عائلي حين يتغير واقع الحياة الزوجية تمامًا ويصبح مختلفًا عن الكمال المثالي للحب. وقد تعاني النساء غالبًا من العواقب الوخيمة لهذه النكسات، بدءًا من الزواج التعيس، أو عدم القدرة على الزواج، أو الاستبعاد من العائلة، أوإساءة المعاملة، أوحتى القتل.

النموذج المعاصر للزواج لدى الطبقة الوسطى، المنتشر بقوة في الأفلام العربية والمسلسلات التلفزيونية، هو أن يكون الحب بين شريكين ينتميان إلى نفس الطبقة الاجتماعية وبتوافق وبتوجيه من عائلتي الطرفين. عمليًا، يمكن لهذا النموذج أن يكون صعب التحقيق؛ إذ يمكن للحب أن يكون دافعًا كما يمكنه أن يكون عائقًا في طريق الزواج. ويبدو أن لدى الشباب من الذكور هامشًا أكبر للمناورة مقارنة بالنساء حين يتعلق الأمر بالتفاعل المعقد الذي يتم بين أشكال مختلفة من المنطق الأخلاقي الذي تتضمنه مسائل الحب والجنس والزواج. فبينما يتمكن الرجال من الموازنة بسهولة بين مثاليات مختلفة للشخصية التي يريدونها، تكون النساء بمواجهة ضغوط أكبر للتوفيق بين المثاليات المتضاربة بشأن البساطة والجاذبية في مظهرهن وسلوكهن. فيتوقع الشاب أن تكون الفتاة جذابة وعلى استعداد لمقابلته في المقاهي، والتجوال في المتنزهات، بالإضافة إلى الأماكن المشابهة التي صارت فضاءات مفضلة للقاءات العشاق (المحتملين)؛ وهذا حتى لا تتعرض لإمكانية أن ينظر إليها على أنها "متخلفة". في الوقت نفسه، يرتبط موقع الفتاة كـ"محترمة"، والذي يعتبر الشرط الرئيسي في الزواج، بشكل أساسي بفضائل العذرية وتجنب الاختلاط بالرجال، مع ما ينتج عن ذلك من مفارقة ترى أن الحب الرومانسي هو بحد ذاته قد يشكل عقبة في طريق الزواج: فالفتاة التي تخرج مع الشباب هي فتاة "وحشة" وغير محترمة (بغض النظر عن عذريتها)، ومن ثم هي لا تصلح للزواج في عيون الشباب وعائلاتهم. أوكما أسر لي صديق: «الفتاة التي تخرج معها ليست هي الفتاة التي قد تريد الزواج منها». ثم غالبًا ما ينتهي الأمر بالفتيات اللواتي يخرجن مع الشباب إلى الزواج من شباب ليسوا من أهل القرية. هذا لا يعني أن الشباب يستهدفون فقط استغلال الفتيات برغم أن كثيرًا منهم يفعلون، فآخرون يعانون من القلق وتخيب آمالهم حين يظهر لهم أن اعتبارات النسب والطبقة والاحترام هي مما سيجعل الفتاة التي يحبون غير مستحب الزواج منها.

لنكون منصفين مع الشباب يجب أن نذكر أن الحب لا يأتي في المرتبة الثانية بعد السمعة بشكل تلقائي. فبغض النظر عن خطاب المواعظ ضد الفتيات "السيئات" اللواتي لا يصلحن للزواج، فإن الكثير من



الشباب يتزوجون منهن بالرغم من سمعتهن ومقاومة عائلاتهم. لكن مع ذلك، سيكون هناك القلق الآخر الناتج عن معارضة الأهل (خاصة بالنسبة للعلاقة مع الحماة التي تشكل مصدر قلق كبير للمتزوجين حديثًا)، وعن أقاويل الجيران، وعن الشكوك التي تحيط بشرعية العلاقة. إنها دائمًا قرارات مؤلمة، وهي تذر الناس في حالة من الندم بأشكال مختلفة. ومهما كانت الخيارات التي يتخذها الأفراد، فهم يمكن أن يجدوا أنفسهم في معضلة لم تكن متوقعة بشأن مثاليات الحب الرومانسي، واحترام الوالدين، والترابط الأسري.

الحب، بصورة تماثل الالتزام الديني والسلطة الأبوية، هو وعد بالكمال لا يتحقق أبدًا بمثل هذا الاكتمال في مواجهة الحياة اليومية. ولأن هذه المثاليات يعبر عنها بصيغة الكمال المطلق، فإن الناس غالبًا ما يجدون صعوبة في العثور على الحل الوسط الذهبي فيما بينها. يواجه الناس غالبًا معادلات صعبة حين يتخذون أي خيار يتضمن فعلاً موجهًا نحو بعض المثاليات والأهداف التي يعتنقونها. وهم يعيشون زيادة على ذلك حياة معقدة؛ حيث يجب أن يكون فيها مكان لمختلف اللحظات والمشاعر والأهداف التي قد لا تكون منسجمة، والتي قد لا تحتاج لتكون كذلك.

التجربة المأساوية التي تنطوي عليها الكثير من قصص الحب هي تعبير عن التناقضات التي سوف تنتج بالضرورة عن الوعود بالكمال التي تدعي تقديم حلول لكل شيء. كمال الحب النقي، وكمال السلطة الأبوية المحافظة، وكمال الالتزام الديني، كل هذا يشكل كلفة لهذه التناقضات المأساوية. إذا أردنا حل هذا المشكل، يجب أن نعترف بالتعقيد الأساسي والازدواجية التي تميز البشر، وأن نحاول التفكير بشأن مثالياتنا بطريقة تكون أقل إطلاقية وأكثر انفتاحًا على واقع التجربة الإنسانية. فيما يتعلق بالحب، فهذا يعني فتح مجالات أوسع للمعرفة المتبادلة بين الشباب، وإمكانيات أكثر لتعلم كيفية فهم الجنس الآخر؛ بحيث لا يصبح الزواج إفاقة مفاجئة وقاسية تتلو أحلامًا وردية، ولكن كنتيجة ومرحلة إيجابية في طريق الحصول التدريجي على تعرف كل شريك على الطرف الأخر.

هابي فالانتاين! عيد الحب والمصريون

أيمون كرايل Aymon Kreil

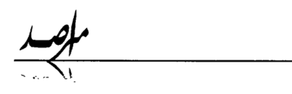
هناك نموذجان يؤطران التطورات المحتملة لعلاقات الحب في مصر: من جهة أولى، نموذج الشاب الذي وجد تحت جسر قصر النيل السنة الماضية وقد شنق نفسه؛ لأن عائلة محبوبته رفضته؛ ومن جهة ثانية، مثل هذه اللافتة التي كان يحملها متظاهر شاب كان يفترش أرضية ميدان التحرير يوم ٣١ يناير ٢٠١١ ليلاً وقد كتب عليها عبارة: تعبت يا ريس.. مش عارف أتجوز.



يتمتع عيد الحب، منذ نهاية التسعينيات تقريبًا، بشعبية واسعة في مصر، لدرجة أن تبادل الهدايا في الرابع عشر من فبراير، وهو تاريخ الاحتفال، يفرض نفسه لدى عدد كبير من المحبين. في الظروف الحالية؛ وبينما تواصل الثورة تطورها، سيكون من الصعب التنبؤ بمستقبل مثل هذا العيد في مصر؛ إذ لا تزال الظواهر التي ترتبط بانتشاره الواسع في البلاد خلال العقدين الأخيرين راهنة، ولا تزال مسائل الحب، والزواج، وتنظيم عملية الاختلاط بين الجنسين تحتفظ بأهميتها. لقد سمحت الثورة بالتعبير عن أشكال مختلفة من التطلعات، لكن لا يزال ينبغي، مع ذلك، البحث عن حلول لأزمة العاطفة والإحباط التي يعبر عنها الشباب غير المتزوجين. لنلاحظ كيف وجد عيد الحب في الرابع عشر من فبراير من العام ٢٠١١، في خضم الثورة وككل السنوات السابقة، محتفلين أحيوا هذا العيد. كتب "بيير بورديو" Pierre Bourdieu يقول: "ذروة التمكن، هو على الأرجح أن تكون قادرًا على الانخراط في قضايا تسمى «نظرية» حول موضوعات تسمى «تجريبية» محددة جدًّا، وغالبًا ما تبدو بسيطة جدًا، بل ربما بدت سخيفة" (Bourdieu 1992 : 191-192).

يمثل انتشار احتفاليات عيد الحب من هذه الناحية ظاهرة جديرة بالبحث. ويوفر لنا الانتقال العالمي للأحداث الاحتفالية والتجارية مثل عيد الحب والعملية التي يستعاد بها في سياقات خاصة بكل منطقة، فرصة للتفكير في الطريقة التي تمارس بها أشكال الموضة الاستهلاكية تأثيرها في الحياة اليومية. سأحاول أن أبحث هنا في فهم شروط إمكانية تجذر عيد الحب في مصر، السياق الديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يندرج فيه الحدث، وما يعلمنا إياه نجاح هذا العيد بشأن تطور العلاقة مع الحب في البلاد.

لأجل هذا الهدف، سوف أبدأ أولاً بإحاطة قصيرة عبر أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؛ لغرض تتبع تاريخ عيد الحب. بعد ذلك، وبعد وصف مختصر للاحتفال في القاهرة، سوف أقف قليلاً عند الحجج التي يدلي بها خصوم ومؤيدو الاحتفال بعيد الحب. وللوصول إلى فهم أفضل لنجاح هذا العيد، سأفحص تطور العلاقات بين الشباب والفتيات وموضوع الزواج في سنوات العشرينيات. في الخطاب العام، كانت الطبقات الوسطى ولفترة طويلة حاملة المثاليات الغربية؛ حيث قسم كبير من أعضائها يدافعون عن فكرة التعبير الحر عن المشاعر، بينما شهدت الفترة المعاصرة استقطابًا اجتماعيًا؛ حيث كانت نخبة الأمة تتجسد في صورة متعهدين تواقين للنجاح، يجمعون بين معرفة بالعالم وتعلق بالوطن. استفاد عيد الحب من دون شك من هذه التحولات. هذا سيسمح لي، ختامًا، بتعميق التفكير حول "حداثة عاطفية" تتأرجح بين الإجماع وبين الفردانية، لكنها تطالب – باستمرار – بالرومانسية وتثمين العاطفة.

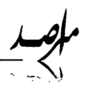


١- في جذور عيد الحب

المصادر القديمة حول عيد الحب ليست كثيرة. فالكتاب الذين درسوا هذه المسألة انتهوا إلى حالة من التضارب؛ إذ إن شهداء كثر يحملون اسم "فالنتاين" Valentine عاشوا خلال الفترة الرومانية، ومع ذلك، فلا شيء في سيرهم التالية والخاصة بكل منهم يسمح بربط هؤلاء بمسألة الحب أو بطقوس الربيع. أولى المصادفات التي تثبت وجود صلة بين هؤلاء وبين عيد القديس "فالنتاين" في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير يعود إلى القرن الرابع عشر. لعب الشاعر الإنجليزي "شوسر" Chaucer على ما يبدو دورًا حاسمًا في هذا الإطار، إذا ما اعتمدنا على الأبحاث التي قادها "جاك أورش" Jack Oruch (١٩٨١)؛ حيث بدا الربط بين عيد الحب وغناء الأطيار والحب في أشعاره – حسب هذا المؤلف – ثمرة صدفة بين تاريخ الاحتفال بهذا القديس وتلك القريبة من بداية شهر الربيع وفقًا لتقاويم زمنية خاصة بتلك الفترة. في الواقع، لا يصمد هذا كثيرًا فدرجات الحرارة في أوروبا الشمالية تكون لا تزال شتوية في مثل هذا التوقيت من شهر فبراير. تقول نظرية أخرى: إن القديس "فالنتاين" الذي تحدث عنه "شوسر" ينتمي إلى منطقة "جانس" Gênes؛ حيث يكون المناخ أكثر دفئًا في هذه الفترة من السنة، وليس إلى بريطانيا. (Kelly, 1986)

"شوسر" وأتباعه أنفسهم كانوا قد استلهموا من قصائد الشعراء المتجولين، وهو الشعر الذي ظهر قرنًا من قبل في الجنوب الغربي من فرنسا ربما تحت تأثير الغزل العربي القادم من الأندلس وصقلية (Nelli 1963). يمكننا أن نعثر في المواضيع المتكررة التي طورها الشعراء المتجولون على نموذج الحب المستحيل، والمرأة التي لا يمكن الوصول إليها والشاعر الهائم على وجهه الذي يحلم بالحب النقي. ثم سترافق الطقوس التي ظهرت لاحقًا رؤية أكثر احتفالية بطبيعة الحال. بعد ذلك بقليل، أي في أوائل القرن الخامس عشر، حدث أن تم ابتداع تقليد كتابة الأشعار للمحبوب على طريقة عيد الحب في باريس. وقد تصارعت الكنيسة الكاثوليكية طويلاً ضد الاحتفال بالحب في هذا التاريخ باعتبار أن ذلك يحيد عن التعبد الأصلي للشهداء المدعوين باسم "فالنتين" Valentine. ومع ذلك، حذت البرجوازية المدينية حذو الأرستقراطية، وأخذت منها تقليد كتابة الأشعار للحبيب في الرابع عشر من فبراير، بينما ظهرت في الأرياف الإنجليزية عروض يانصيب الحب؛ حيث يتم السحب على اسم الموعود الافتراضي بالزواج ورفيق رقص في الحفل الموسيقي المقام في ذلك اليوم.

غير أن نقطة التحول الحقيقية في الاحتفال بعيد الحب كانت حين اعتمدته تجارة المطبوعات في إنجلترا في نهاية القرن الثامن عشر، وفي الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر. في هذه الفترة، حظيت



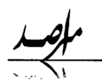
المطبوعات المزينة برسم وقصيدة صغيرة معنونة "فالنتاين" Valentine التي تهدى إلى الحبيب بل وإلى أفراد العائلة وللأطفال أيضًا، بانتشار واسع. حسب المؤرخ الأمريكي "ليغ شميدت" Leigh Schmidt (١٩٩٣)، استفاد الحدث من تسويق مكثف؛ بحيث استبق بذلك التحولات اللاحقة التي شهدتها أعياد الميلاد على سبيل المثال وفكرة التأكيد المصاحب لتبادل الهدايا داخل العائلة خلال هذه الفترة. تعود الأسطورة التي انتشرت بشكل واسع اليوم حول قديس يدعى "فالنتاين" فقد حياته بعد أن قام سرًّا بتزويج عاشقين، من دون شك إلى هذا التاريخ.

انتشر العيد لاحقًا في العالم كله. لم تخضع إعادة إحياء الاحتفال بعيد الحب في أوروبا القارية على منوال النموذج الأمريكي، وفق البيانات المتوفرة لدي، بعد دراسة منهجية، على الأقل حين اعتمد الاحتفال بهذا اليوم في فرنسا في سنوات الخمسينيات. في نهاية هذه العشرية نفسها، ظهر عيد الحب في اليابان تقوده علامة شوكولا محلية (Creighton 1993). اليوم، يبدو عيد الحب وقد احتفل به في كل مكان في العالم، وهناك الآن استحضار لهذا الحدث في مجالي الأنثربولوجيا والأدب في سياقات شديدة الاختلاف مثل غانا (Bochow 2008)، وكينيا (Spronk 2006)، والهند (Kaur2004)، وتايلاند، وإيران (Bayat 2007)، بل وأيضًا في المملكة السعودية (al-Sâni' 2007).

«خيال أمريكي، صناعة صينية، توزيع مصري» ، كان هذا عنوان عرض للدمى البلاستيكية التي تحمل شكل "باتمان" Batman في القاهرة. لقد عرف عيد الحب نفس مسار الانتقال. فمعظم الهدايا القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية في شكلها الحالي، والتي يتبادلها المصريون اليوم، تمت صناعتها في الصين. على هذا النحو، وككل ظاهرة انتقال ثقافية، يجب أن يتكيف العيد مع المكان. وهنا يثير ظهور ونجاح عيد الحب في السياق العام الذي يدعى بـ 'إعادة أسلمة" المجتمع المصري تساؤلاً، فليس من السهل أن نفهم كيف أن حدثًا مثل عيد الحب أمكنه أن يفرض نفسه: في الواقع، إنه يقدم مرئية غير مسبوقة للعلاقات العاطفية بين الشباب والفتيات من غير المتزوجين.

٢- عيد الحب في القاهرة

خلال رحلتي الأولى إلى مصر عام ٢٠٠٣، ولحظة وصولي في الرابع عشر من فبراير، وفي حين كان لدي تصور عن مجتمع؛ حيث يقمع فيه التعبير عن العاطفة بين الرجال والنساء، كان أن وجدت مدينة بأكملها وقد تزينت باللون الأحمر مع كمية كبيرة من أشكال القلوب، وفي كل مكان يتجول الشباب والفتيات وقد اشتبكت أيديهما. عدد كبير من الفتيات يلبسن اللون الأحمر



بهذه المناسبة، يكون لباسهن عادة مزينًا بوشاح يحمل كلمة "لوف" LOVE بالأحرف الكبيرة. تجتذب المحبين بعض الأماكن الخاصة في المدينة، مثل المتنزهات، وضفاف وجسور نهر النيل، والأحياء التجارية؛ حيث يتنزه الشباب والفتيات وهم يحملون في أيديهم أكياس هدايا من الورق مزينة بأشكال رومانسية. كما ينضم بعض الرجال والنساء الأكبر سنًّا – ممن يبدو أنهم متزوجون – إلى هذه النزهات. وتنظم أغلبية الفنادق والمقاهي المختلفة سهرات خاصة للاحتفال بهذه المناسبة. في عام ٢٠٠٩ جمع حفل للمطرب محمد منير، نظم بدار الأوبرا بالمناسبة، ستين ألف متفرج حسب ما ذكرته الصحافة. ويتبادل الشباب والفتيات اتصالات ورسائل قصيرة قد تكون ذات طابع ودي أو ملتهب.

تعرض في جميع أنحاء المدينة، لدى تجار الورق والمحلات المخصصة لبيع الهدايا، أو حتى محلات أخرى، مجموعة متنوعة من الإكسسوارات المحددة الخاصة بعيد الحب. يركز بائعو الجملة في حي "الموسكي" الشعبي اهتمامهم على عدد من المنتجات: فهناك سنجد أشياء موجهة خصيصًا للشرق الأوسط، وهي مزينة بخطوط عربية على سبيل المثال، حتى لو كانت هذه الأخيرة هي الأخرى مستوردة من الصين في غالب الأحيان. الزينة الأهم لهذا العيد هي الدببة المصنوعة من القماش المخملي، وهي حاضرة في كل المعروضات بكل الأحجام والألوان مع ولع باللون الأحمر. ويمكن استبدالها بمعروضات متنوعة أخرى مثل القطط الصغيرة أو الفهود أو الكلاب المصنوعة من القطن. إن إهداء دب من المخمل أو أزهار هو اليوم على كل حال رمز متعارف عليه للعاطفة، بما في ذلك خارج إطار حفلات الحب. يحقق بائعو الأزهار أيضًا جزءًا كبيرًا من مبيعاتهم خلال هذا اليوم.

يُحتَفل بعيد الحب، ومثلما هو الحال في كل مكان، في الرابع عشر من فبراير. يوجد في مصر عيد حب ثانٍ يقع تاريخه في الرابع من شهر نوفمبر يتبع مبادرة أطلقها الصحفي "مصطفى أمين" في الثمانينيات. كان غرض "أمين" تعزيز التكافل الاجتماعي والمحبة داخل الأسرة باسم الحب (Amin 1989). بالنتيجة، هناك تمييز بين «العيد الدولي للحب» و«عيد وطني للحب»، في حين أن الاحتفال بالعيدين متماثل تمامًا على مستوى الممارسة العملية: فالطقوس الخاصة بعيد الحب يتم نقلها بحذافيرها إلى «العيد الوطني»". على هذا النحو مثلاً عرضت واجهة أحد المحلات جملة تقول"٢٠٠٨/١١/٠٤: فالنتاين سعيد !". بالمثل اختلط الأمر على أحد الذين حاورتهم؛ بحيث خلط بين التاريخ الخاص بالعيدين «العالمي» و«الوطني». ومع ذلك لا يحظى هذا الأخير بنجاح كبير: لَخَّصَ البائعون ذلك في أحد المحلات المختصة بقولهم: "العيد دا تعبان".



يواكب العيد مخيالاً للحميمية العاطفية والحب والحنان مرتبطة بأمكنة وأفعال نمطية مثل التجوال، أو الذهاب إلى المطاعم، أو إهداء زهرة أو أيضًا زجاجة عطر، إنها علامات كثيرة تدل على حب يوصف بأنه «رومانسي». ويبدو انتشار هذه المفاهيم في مصر مرتبطًا بإنشاء وتعزيز فضاء إعلامي عالمي، خاصة عبر السينما والفضائيات والإنترنت، إضافة إلى انتشار سلع الاستهلاك الجماهيري ذات الطابع الرومانسي. لقد ساهم التوافر الدائم لملحقات الزينة الصينية الصنع – وبأثمان زهيدة بالفعل وبقدر كبير – في تجذر عيد الحب في القاهرة؛ حيث تفجرت الظاهرة في كل الأحياء، الغنية منها والفقيرة.

إذا كان تبادل الهدايا يتم بين العائلات والأصدقاء، إلا أنه لا يزال برغم ذلك مرتبطًا بالمحبين الشباب غير المتزوجين، فالهدايا بين المحبين في عيد الحب لديها اليوم ما يشبه قوة الاتفاقية. يعتبر أحد الذين استجوبتهم أن: "عيد الحب هو استجابة لما تتوقعه النساء". أوضح لي آخر أنه: "لقد أصبح عيدًا، يجب علينا أن نحتفل به". بالرغم من ذلك، فحين سألته إن كان يحرص على الاحتفال به دخل في نوبة ضحك، مضيفًا: "هذا انتهى بالنسبة لي ! كان ذلك قبل أن أتزوج!" ثم لا تزال لدي بعض الأزواج الرغبة في الاحتفال بعيد الحب؛ ليثبتوا استمرار روابط الرومانسية بين المتزوجين، وهي الظاهرة التي سنتناولها لاحقًا.

٣– مؤيدو ومعارضو الاحتفال بعيد الحب

هناك ثلاثة مستويات أساسية حاسمة يتم تعبئتها ضد عيد الحب: المستوى الديني، والقومي، ومستوى مناهضة النزعة الاستهلاكية. هذه المستويات ليست منفصلة عن بعضها في الواقع، لكنها تتعاضد في جزء كبير منها.

يرتكز نقد المستوى الديني في المقام الأول على إدانة عيد الحب بوصفه بدعة، وابتداع مذموم يدفع المسلمين إلى تقليد غير المسلمين. ويتكرر في غالب الأحيان التأكيد على أنه ليس هناك سوى عيدين اثنين في الإسلام، هما عيد الفطر الذي يلي نهاية شهر رمضان والعيد الكبير (عيد الأضحى). يمكن أيضًا أن يتم تسليط الضوء على الأصول المسيحية للعيد بغرض توضيح طبيعته التي تتعارض مع الإسلام. أخيرًا، ينتقد العيد بوصفه تشجيعًا على الانحلال الأخلاقي. يقدم بعض الشيوخ الأقل قربًا من التيارات السلفية وجهة نظر أكثر تحديدًا فيكتفون بإدانة غير المتزوجين الذين يحتفلون بالحدث دون أن يهاجموا المبدأ الكامن وراء وجوده. يدين المستوى القومي من جهته، عملية استيراد عيد أجنبي: "لماذا قد أحتفل بعيد أمريكي؟"، سألني على هذا النحو أحد الذين حاورتهم. في مستوى أقرب من هذا، يتم التحسر على الأخلاق النقية والصارمة التي كان يتمتع بها السكان في صعيد مصر؛ حيث يعتبر الكثير من سكان القاهرة أن عيدًا مماثلاً يعتبر مستحيلاً هناك. أخيرًا في مستوى مناهضة النزعة الاستهلاكية، تهاجم النفقات المفرطة في هذه المناسبة.«المصريون يحبون التباهي بالإسراف؛ "بيحبو الفشخرة"»،

يشرح لي أحد الباعة في محل كان على الرغم من ذلك يفيض بألعاب الدببة. بالمثل، وفي مقهى "موسكي" الذي يقع في وسط محلات لبيع الدببة القطنية، وبينما كان أحد الزبائن يحثني لأتخلى عن بحثي حول عيد الحب؛ لأنه مجرد ظاهرة سطحية سرعان ما ستنسى في حالة وقوع حرب أو زلزال، أفصح صاحب المقهى مساندًا لذات الرأي، أن عشرة ملايين جنيه مصري صرفت في المكالمات الهاتفية يوم الرابع عشر من فبراير. وبالنظر إلى الصعوبات المالية للغالبية من المصريين، فإن تبذيرًا مماثلاً بدا لهما غير ذي فائدة.

لا أحد من بين كل الذين استجوبتهم، استحضر وجهة النظر الدينية؛ ليبرر سواء بالسلب أو الإيجاب تمسكه بهذا العيد، فلا الحب ولا الاحتفال به على ما يبدو يشكل قضية في حد ذاته. "إذا كان عيد ما لطيفًا، فلا يهمني إن كان مصدره هندوسيًّا، أو صينيًّا، أو غربيًّا"، تشرح لي إحدى اللواتي استجوبتهن.

ظاهرة لافتة أخرى هي أن الشباب الأصغر سنًّا في عينة بحثي يميلون إلى اعتبار عيد الحب عيدًا قديمًا جدًّا وبدون مصدر محدد. وفي حين يتفق الأكبر سنًّا ممن استجوبتهم على أن بدايات الاحتفال بهذا العيد في مصر تعود إلى نحو عشر سنوات تقريبًا، وأن مالكي المحلات أكدوا لي أنهم بدأوا في بيع الإكسسوارات المرتبطة بعيد الحب منذ ثماني سنوات أو أكثر، فإن الأصغر سنًّا، ومن بينهم البائعون الذين يعملون في هذه المحلات، أصروا بالإجماع على الدفاع عن فكرة أنه عيد قديم وأن أجدادهم قد احتفلوا به فعلاً. يكمن الاختلاف فقط في أنواع الهدايا المتبادلة: ففي حين كانت الهدايا في السابق هي الورود أو العطور أو الأشعار، تهيمن الدببة القطنية على هدايا اليوم. يصر مصفف شعر يرتاده أصدقاء لي على نفس الاتجاه، لكنه وجد نفسه محل تكذيب من والديه نفسيهما؛ فهما لم يكونا يحتفلان بعيد الحب فيرفضان بذلك الحاجة إلى مناسبة خاصة للتعبير عن ارتباطهما المتبادل. يمثل استحضار مسألة ميل المصريين القديم المفترض للاحتفال بالأعياد أيما كانت، طريقة أخرى للتشويش على جذور عيد الحب عبر اللجوء إلى التقويمات الخاصة بالطقوس في المعابد الفرعونية على سبيل المثال. يندرج تعريف عيد الحب بوصفه (عيد الحب الدولي) وليس «الغربي» أيضًا في هذا الاتجاه؛ إنه يسمح هنا بالتحايل على النقد القومي الذي يتهمه بتشويه الثقافة المصرية. لقد أصبح العيد علامة على التحضر والعالمية على مثال هذا المستجوب الذي كان يبدي فرحته بأن القاهرة تختلف عن صعيد مصر؛ بحيث يستطيع سكان العاصمة إحياء هذا الحدث بالشكل الذي يريدون.

في نفس اتجاه الاستراتيجيات التي تروم تشريع الاحتفال بعيد الحب، تقع الرؤية التي تحاول التقليل من أهمية موقع الخطيبة أو الصديقة الحميمة الكامن وراء عيد الحب. عديد من الذين استجوبتهم يصرون بالفعل على الهدايا والأمنيات التي يتم تبادلها بين أفراد العائلة وبين الأصدقاء. هذه الرؤية، ومثل اختيار



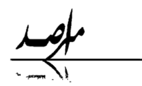
الدببة القطنية كهدية متعارف عليها نظرًا إلى ما تتضمنه من دلالات طفولية قد ترتبط بهذا النوع من الهدايا، يبدو أنها تعكس رغبة في تبرئة تعابير الحب التي يثيرها "سانت فالنتاين" في مواجهة الاتهامات التي تطال هذه التعابير بوصفها قنوات يمكن أن تؤدي نحو العلاقات المحرمة التي قد ترافقها.

قامت بعض الجماعات الدينية أو السياسية وبغض النظر عن الإدانات الموجهة لعيد الحب، بتطوير استراتيجيات لتجاوز هذا العيد المثير للجدل. حاول بعض الطلبة المرتبطين بالإخوان المسلمين على سبيل المثال أن يؤسسوا في الجامعة ما سموه "عيد الحب في الله"، الحب الوحيد النقي والشريف في نظرهم. الأمر يتعلق هنا، حسب عدد من أعضاء الجماعة، بعدم إضاعة احتمال انضمامات ممكنة للحركة عبر خطاب قد يكون عدوانيًا جدًّا، ويفضل بدلاً من ذلك توجيهها تدريجيًّا عبر مقاربة توفيقية صوب الحركة، على النحو نفسه حاول آخرون عام ٢٠٠٥ إقامة "يوم محمد" Muhammad Day، دائمًا في نفس هذا التاريخ. ما يثير الانتباه في هذا هو اختيار اللغة الإنجليزية لتسمية هذا اليوم؛ بحيث يتم إدراج الحدث في إطار عالمي للتنافس بين الأعياد. في اتجاه قريب من هذا، نشرت "المصري اليوم"، وهي يومية قريبة من المعارضة المعتدلة، عددًا خاصًا يوم ٢٠٠٨/٠٢/١٤ تحت عنوان "نحب مصر.. ونريدها أن تتغير"، مزينة بعلم مصري على شكل قلب.

٤- سياق الحب في مصر: سنوات العشرينيات والخمسينيات

بالرغم من أنه لا توجد، بحسب اطلاعاتي، أية دراسات منهجية عن موقع الحب في سنوات العشرينيات، فإن هناك بعض العناصر التي تسمح لنا بالتعرف على الصدى الذي لا تزال تحدثه الإنتاجات الثقافية لتلك الفترة لدى الجمهور المصري اليوم. في هذه الفترة بالفعل بدأت مسيرة كلٍّ من أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب. وحققت السينما المصرية بالمثل انطلاقتها سريعًا، فمنذ بداياتها الأولى، تخصص الأفلام مساحات واسعة لقصص الحب. من الواضح بالطبع، أن إستحضار الحب والمحبين شكل موضوعًا حاضرًا باستمرار في الشعر العربي، كما يشير إلى ذلك "صامولي شيلكه" Samuli Schielke في المشاركة الأخرى الخاصة بهذا العدد، بيد أن ما يميز إنتاجات العشرينيات في نظري، هو اندراجها في عملية تحديث عاطفي كان في مرحلة التكون، وهذه الدراسة ستساعدنا على رسم معالمه العامة.

يقيم هذا التحديث العاطفي أهمية للبيت المكون حول أسرة نووية؛ حيث الرجل وزوجته الوحيدة يعيشان مع أطفالهما. يلبي الزوج احتياجات المنزل، مع أحدث تقنيات الراحة، بينما تهتم الزوجة بتربية الأولاد وبأعمال المنزل. يعتبر الحب المتبادل مركزيًا؛ لأجل الحفاظ على الانسجام العائلي. هناك بعض أوجه التناقض التي تسود حيال دور الوالدين في اختيار الزوجين؛ فهل يجب على الشباب أن ينصاعوا لاختيارات الوالدين بخصوص الشريك باعتبار التجربة التي يتمتع بها هؤلاء، أم أن يتبعوا مشاعرهم؟ تركز



السينما في الغالب على هذا الموضوع. أما بالنسبة لقصص الحب التي تتحول إلى معاناة وخيبات أمل فيتم استحضارها باستمرار في الأغاني.

يبدو أن الفترة شهدت ولادة العناصر الأساسية لمرجعية التحضر في هذه الفترة والتي لم تزل موجودة إلى اليوم، وهي تلك التي تجمع بين التعليم، والصعود الاجتماعي، ومشاعر الحب. هذه المفاهيم المتعلقة بالإخلاص في الحب أو خيبات الأمل العاطفية تصبح جزءًا من الحياة المدينية وتمثل نموذجًا مرتبطًا بالطبقات الوسطى المتعلمة. تصبح هنا نماذج الرجولة محلاً للتساؤل، ويشكل نموذج الفتاة الجميلة اللطيفة التي ترتدي آخر نماذج الموضة في باريس، حتى وهي تتعرض لانتقادات عديدة، موضوعًا آخر يحظى باهتمام كبير في وسائل الإعلام (Armbrust 1996).

يمكننا، وانطلاقًا من هذا، أن ندرك بسهولة كيف نمت بالموازاة مع ذلك طرق جديدة لكسب الود (أو المعاكسة) والتفاعل مع ممثلين من الجنس الآخر. تمنح المدن بالفعل كثيرًا من فرص اللقاء بعيدًا عن رقابة الوالدين والجيران، خاصة أن مدن القاهرة والإسكندرية تشهد مرحلة توسع. (Abu-Lughod 1971) يتيح التوسيع التدريجي في النظام التعليمي، بالمثل، فرص تكوين شباب يبدو أنه لم يعد لدى غالبيتهم القلق من هاجس فقدان فرص العمل ومن الزواج. وبالنتيجة هم في حالة جاهزة لقصص الحب والمغازلات (Starrett 1998). الحداثة العاطفية هي انعكاس لهذه التطورات، وهي تساهم في تكثيفها.

شكلت الصعوبات التي يواجهها الشباب في الزواج موضوعًا لجدل قديم، وقد تتبعت "حنان خلوصي" (٢٠١٠) ظهور هذا الجدل في سنوات العشرينيات. وتبدو الحجج المستخدمة متماثلة بشكل لافت بالرغم من أن هذا النقاش يمكن أن يندرج في سياق مختلف اليوم. ففي هذا الإطار ينظر إلى العزوبة بوصفها تهديدًا لمستقبل البلد، وهنا يدان جراء ذلك وعلى التوالي، الرجال الذين أصبحوا أكثر انحلالاً من أن يتزوجوا، أو آباء الفتيات الذين يغالون في مسألة المهور. كانت هذه الظاهرة تخص، في المقام الأول، شبابًا ينتمون إلى الطبقات الوسطى من الأغنياء كما من الفقراء، والذين بدا أن لديهم صعوبات أقل للزواج.

اختفت هذه المسألة، وفقًا لبحث "خلوصي"، مع حلول عام ١٩٥٢، لكنها عاودت الظهور نتيجة الانفتاح – الظاهرة التي تركت "خلوصي" التحليل بشأنها معلقًا. على الأغلب يمكننا أن نفترض وجود علاقة ارتباطية بين نمو فجوة الثروة في عهد السادات من جهة، وذلك بعد المرحلة الناصرية التي شهدت تقلصًا في هذه الفجوة (Abu-Lughod 1971) بشكل أدى إلى زيادة الضغوط؛ للحفاظ على مكانة العائلات التي تنتمي إلى الطبقات الوسطى، بين طول سنوات الدراسة بالنسبة للشباب المتزايد ومطالبات

الأهل المتنامية بشأن المهور من جهة ثانية. بهذه الطريقة، تم استئناف النقاش حول أزمة الزواج المفترضة. تتعلق فرضية أخرى بنمط الحجج المستخدمة لتوصيف مخاطر العزوبة. وبالفعل، تتزامن سنوات السبعينيات مع بداية عملية إعادة الأسلمة في مصر. لقد قادت هذه الأخيرة خطابًا؛ حيث تلعب الرقابة على الأخلاق دورًا رئيسيًا في إصلاح المجتمع. هكذا، وحيث اعتبرت العزوبة منذ العشرينيات موضوعًا يتعلق بالأخلاق العامة، فستوفر حركة إعادة الأسلمة الشروط اللازمة لإعادة ظهوره بصفته موضوعًا رئيسيًا في النقاش الإعلامي وفي الخطاب الاجتماعي. بيد أن مرحلة السادات قد تمثل موضوعًا للتقصي بحد ذاتها، وللأسف لن أستطيع أن أتطرق لها في حدود هذه المشاركة. بالنتيجة سأحاول الآن تسليط الضوء على بعض العناصر بشأن السياق المعاصر للحب.

٥- في سياق الحب الحالي

إذا كانت نماذج مغامرات العواطف الرومانسية أو زواج الحب قد تمتعت بجمهور واسع في العشرينيات، فإن ظروف الممارسة العملية المتعلقة بالشعور العاطفي قد تغيرت منذ ذلك الوقت. أولاً، الشباب الذي يعتبر فئة عمرية انتقالية بين سن الطفولة ومرحلة النضوج الذي ينتج عن طول سنوات الدراسة (Farag 2007)، أصبح يجمع اليوم عددًا أكبر من الأفراد، وقد توسع جمهور المثاليات الرومانسية الكامن وفقًا لذلك أيضًا. ثم هناك عدد نادر من الشباب الذين يتزوجون قبل أن يحصلوا على شهاداتهم، وبالتالي أصبح سن الزواج بشكل عام أكثر تأخرًا.

علاوة على ذلك، سمح التوسع في مساحات العلاقات الاجتماعية بسهولة كبيرة في اللقاءات المختلطة. وبينما يستمر غالبية الشباب في العيش مع والديهم حتى سن الزواج، فإن وسائل الاتصالات الحديثة، مثل الإنترنت والهاتف المحمول، تجعل من مهمة الرقابة الأسرية أكثر صعوبة؛ فإذا كان تمكن الفتيات من استخدام الهاتف الثابت قد شكل موضوعًا لتفاوضات طويلة في السابق (Elkamel, 2007)، فإن هوامش الاستقلالية قد توسعت، على هذا النحو، بشكل واضح. يحشد الفيس بوك و"شات العسل" جزءًا مهمًا من وقت الشباب اليوم، مثلما توضحه الساعات الطويلة التي يكرسها مجموعة من الأصدقاء ممن استجوبتهم حول الموضوع لهذه المواقع التي تتضمن دعوات من مجهولين، وحجبًا لبعض المتصلين، والدردشة الآنية؛ بحيث تحمل هذه الممارسة مخاطر الخلط بين «المحترمين وغير المحترمين» في الحوارات والمشاجرات التي تتبعها.

يمكن تبادل أرقام الهواتف خلال الدردشات، ويمكن أن تتبع المكالمات والرسائل القصيرة لقاءات فعلية. ليس من السهل على كل حال القيام بهذه الخطوة بالنظر إلى العلاقة بين التجاوزات التي تحصل في

العالم الافتراضي وبين التفاعل المباشر. أحد الذين استجوبتهم على سبيل المثال كان يرفض القيام بهذه الخطوة: «أنا لا أعرفها – يبرر الأمر – فإذا لم تكن فتاة جيدة، فسأشعر بالسوء.» ولذا لابد من التأكيد على طابع المرح في المقام الأول الذي يميز التفاعلات التي تتم على شبكة الإنترنت، وهي نادرًا ما تؤدي إلى التزام حقيقي للشركاء المعنيين بها.

يمكن ملاحظة الأمر نفسه في الشارع؛ حيث يمكن أن تكون المعاكسة أشبه باللعبة في كثير من الأحيان. لقد تراءى لي أن المعاكسة التي تمارس بشكل جماعي مركزة بشكل خاص على مجموعة الزملاء، أي الأصدقاء الذكور الحاضرين؛ حيث يبذلون جهدًا؛ للتأكيد على الرجولة دون الاهتمام بكفاءة هذا الأداء. التعاليق التي يتبادلها الشباب بصوت مرتفع حول أجساد الفتيات أو حول مشاريع ممكنة للعلاقة الجنسية معهن هي من ضمن هذه الممارسات. بالمثل تبدو اللمسات والاحتكاكات العفوية المقصودة في الشارع أو في وسائل المواصلات العامة (Ibrahim 1998: 180) كتقنيات للإغواء غير ذات فعالية. ومع تكرارها بشكل يومي، تنظر إليها الجمعيات النسوية كشكل من أشكال التحرش الجنسي.

هذا المصطلح (التحرش) يبدو أنه ظهر بقوة على المستوى الإعلامي عام ٢٠٠٦ بعد هجومات جماعية بالقاهرة طالت فتيات. بيد أن التمييز بين المعاكسة والتحرش يتسم بعدم الوضوح في نظر عدد كبير من الناس، وتوطيد هذا التمييز يمثل إحدى أهم التحديات التي تواجهها جمعيات ترقية حقوق المرأة. يندرج التحرش ضمن سعي للحميمية مع ممثلين من الجنس الآخر. ويمكن للأفراد طبعًا التأرجح بين مستويين هما المعاكسة والرومانسية. لكن الاستقطاب بين المعاكسة العدوانية والإغواء الرومانسي يبرز هنا على مستوى آخر يمثله خطاب الإدانة الذي يطال مصطلح "الشغب".

يوضح لي أحد المستجوبين الذين تحاورت معهم كيف أن البعض قد ينطق بالإهانة في حين أنه قد يكون بصدد محاولة التعبير عن كلام عذب. تبدو الملاحظة التي يبديها هذا المستجوب الذي ينحدر هو نفسه من حي شعبي مثيرة للاهتمام. لقد أكد لي قبل ذلك بقليل أن أشكال العلاقات بين الشباب والفتيات في مصر كانت كثيرة طالما أنه «يكفي أن تسير فتاة جميلة في الشارع حتى يتبعها خمسة من الشباب»، وهي الممارسة التي ترتبط بالمعاكسة الجماعية. هنا، يمثل استخدامه خطاب إدانة الافتقار إلى التعليم مؤشرًا على انتشاره على جميع مستويات المجتمع المصري. ويبدو أن الإحالة إلى التحرش بوصفه سلوكًا مفترضًا لدى الأوساط الشعبية، ترتبط بإدانة التحرش بوصفه علامة على التأخر.



تجد بعض الفتيات أيضًا، من جهتهن، بهجة للقيام بدور فعال في عملية الإغواء، لكن هدف الإبقاء على فرصهن المستقبلية في الزواج يجعل أكثرهن تميل إذ ذاك إلى تفضيل نماذج الحب الرومانسي.«إذا كنت ترغب في النوم مع فتاة، يجب أن تسخر منها وتعدها بالزواج»، يشرح لي أحد المستجوبين. قد يصرف الاستسلام للإغواء الجنسي للشريك الطرف الآخر عن العلاقة في نهاية المطاف، مثلما قد تبدو جرأة الفتاة في العلاقة أحيانًا تعبيرًا عن غياب للحشمة والتحفظ. تبقى عذرية الزوجة لحظة الزواج أساسية في نظر الغالبية العظمى من الأزواج، «هذا يشبه حقيبتك – يشرح لي أحد الذين استجوبتهم مشيرًا إلى حقيبتي الموضوعة على الأرض– لن تحب حتمًا أن يفتش أحدهم بداخلها»

تعتبر الخطبة كإطار شرعي بامتياز للتعبير عن الحب الرومانسي. هل يجب النظر إلى سن قصص الحب الرومانسي لفترة ما قبل الزواج كمعاكس لسن المسئولية العائلية، حين يتم التخلي عن المظاهر الرومانسية لصالح الروتين اليومي؟ هل يتم المخاطرة بالتوقعات الرومانسية بسبب الحياة الزوجية والعلاقة الهرمية – حتى لو كانت صورية – التي يفترضها الخطاب الأبوي المهيمن؟ سيعالج "شيلكه" Schielke هذه المسألة بإسهاب في هذا العدد. لنبقِ التركيز على موضوعنا الأساسي، عيد الحب، الذي يبقى في الغالب عيدًا خاصًا بالمخطوبين كما رأينا. يوضح لي أحد الشباب غير المتزوجين أن «أولئك الذين اختاروا علاقات دائمة هم الأقل نزوعًا للاحتفال بعيد الحب»، بشكل يتداخل مع أقوال أحد المستجوبين الذين ذكرتهم آنفًا. في الواقع، النكات المكررة التي يرددها الأزواج بشأن "الحكومة"، أي زوجاتهم، اللائي يتهمونهن بالسيطرة على أعمال المنزل وعلى الميزانية وحتى على تواجدهم خارج البيت الزوجي، تبدو غير ملائمة كثيرًا لاعترافات حب ملتهبة. بالرغم من ذلك، فإن الاحتفال بعيد الحب من قبل المتزوجين هو من هذه الناحية لافت؛ يتعلق الأمر في الواقع بإعادة تأسيس لعقد الحب بفضل هذا العيد. يتخذ التعبير الصريح عن مشاعر الحب إذن أهمية غير مسبوقة، على عكس مفهوم الحب الضمني الناتج عن المعرفة التي من المفترض أن تتطور بعد الزواج.

٦– القاهرة الكوزموبوليتانية وعيد الحب

تزامن انتشار عيد الحب مع استقطاب اجتماعي متنام؛ حيث فقدت الطبقات الوسطى مكانتها إلى حد كبير كقائد مميز للمشروع التحديثي الذي يقوم علىً إصلاح الأمة، لصالح طبقات ميسورة أكثر استعجالاً للمطالبة بشكل ما من الكونية. عيد الحب الذي يتم تقديمه صراحة كحدث عالمي، يجعل من المفيد هنا النظر في نتائج هذه التحولات.



لقد أدى العقدان الأخيران في العديد من المستويات، إلى هشاشة متزايدة في الطبقات الوسطى. فرص العمل المستقرة في القطاع العام التي لعبت دورًا مركزيًّا في التطلعات المعبر عنها لدى هذه الفئة، يمكن القول إنها اختفت وهي على نحو متزايد تفقد قيمتها بسبب الأجور المتدنية التي تقدمها وبسبب التشجيع الذي تحظى به روح المبادرة الذاتية من قبل الهيئات الحكومية كبديل عنها. من جهة ثانية، فقدت شهادات قطاعات التعليم العام قيمتها لصالح التكوينات المكتسبة في مؤسسات خاصة. بهذه الطريقة، أصبحت قاعدة الشرعية التي كان يعتمد عليها هؤلاء بوصفهم القسم المتعلم من المجتمع محل شك طالما أن التعليم الذي يحصله أفراد الطبقة الوسطى يبدو أكثر فأكثر غير ذي جدوى كبديل للصعود الاجتماعي. وأخيرًا، أصبحت الهيمنة التي كان يمكن أن تنسب إلى الطبقة الوسطى، بوصفها الطبقي، على المستوى الثقافي، محل شك بسبب انتشار وسائل الإعلام والوزن المتزايد للفاعلين الذين ينتمون إلى القطاع الخاص في داخل هذه الوسائل، الشيء الذي سمح مثلاً، وفي آن واحد، بأن يتعايش "سعد الصغير" مع "روبي" ومع "محمد منير".

يحدد "أنوك دي كونينغ" Anouk de Koning في أبحاثه بشأن فضاءات العلاقات الاجتماعية لأغنياء القاهرة الذين يرتادون "مقاهي" الأحياء الراقية (٢٠٠٩)، تطلعات هؤلاء الشباب الذين استجوبهم بوصفها سعيًا نحو "رأسمال كوزموبوليتاني". يحيل هذا المصطلح إلى الإطار النظري الذي وضعه "بورديو" Bourdieu . يميز هذا الأخير لأغراض التحليل بين رأسمال المال الذي يملكه الأفراد ورأس مالهم الاجتماعي، أي الشبكات التي يتعارفون فيها، وبين رأس المال الثقافي الذي يحيل إلى التعارفات الضرورية للاندماج في الفضاءات المختلفة، وبين رأس المال الرمزي الذي يمس رموز المكانة في تسلسلات الهرمية المختلفة داخل مجتمع ما.

هذه الأنواع المختلفة من رأس المال تتلازم ويعزز بعضها بعضًا في غالب الأحيان. المسار التعليمي الخاص للأغنياء؛ حيث الوصول إليه مشروط بالثروة، هو أحد الأدوات الرئيسية للحصول على رأس المال الاجتماعي، والثقافي، والرمزي. وهذا بدوره يساعد، بالنتيجة، على تشريع الموقع المهيمن للنخب داخل المجتمع طالما أنها لم تعد تعتمد على الثروة فقط. يساهم رأس المال العالمي الذي يستحضره "كونينغ" في التأكيد على رأس المال الثقافي المُحَصَّل لاسيما عبر إتقان اللغة الانجليزية التي اكتسبت بفضل ارتياد مدارس اللغات والجامعات الأجنبية. إلى هذا الرأس المال الثقافي تنتمي القدرة على التفاعل مع ممثلين من الجنس الآخر في سياقات أماكن العمل أو في المقاهي بدون أن يؤثر ذلك على احترام النساء الحاضرات ولا على اختزال التبادل مع الآخر إلى محض لعبة إغواء أو استيلاء.



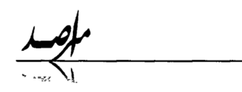
هناك تناقض أكيد يسود في مصر منذ زمن طويل تجاه ممارسات الأغنياء، الذين ينظر إليهم في الغالب بوصفهم "متغربين" بقوة وبالتالي بلا أخلاق. هذه الازدواجية متبادلة. فالمستجوبون في بحث "كونينغ" غالبًا ما يصفون تنقلاتهم إلى المدينة بوصفها تجربة مريرة؛ حيث يعتبرون أن أغلبية سكان القاهرة هم في نظرهم غير قادرين على التعامل اللائق مع الفتيات. الشعور بالحصار داخل المدينة يبدو قويًّا، فبعض الأماكن، مثل المقاهي أو المراكز التجارية، تبدو مثل تجمعات أمنية؛ حيث الدخول إليها مشروط بالثروة. ثم هناك نوع من الازدراء يسود تجاه المنتجات المحلية وعادات الطبقات الدنيا. بالرغم من ذلك، فإن هذا الموقف ليس متعارضًا مع الخطاب القومي؛ لأن ممثلي الطبقات الميسورة هؤلاء إنما يعبرون في الواقع عن ممثلي الأمة القادمة.

تميل مرجعية التحضر التي تم التطرق إليها أعلاه، على هذا النحو، إلى التماهي أكثر فأكثر مع رأس المال الكوزموبوليتاني. فشعبية المراكز التجارية – التي تزامنت مع تراجع هذه الأخيرة لصالح المجمعات التجارية التي ظهرت حديثًا – وظهور فضاءات المقاهي المختلطة عبر أحياء المدينة، تساهم في هذه الهيمنة الجديدة. ويلعب التسويق هنا دورًا مركزيًّا؛ لأنه منوط بتحفيز والتنبؤ بمطالب واحتياجات السكان. استفاد عيد الحب من هذه الوضعية؛ ليكتسب موضع قدم في مصر، وليفعل ذلك خارج أوساط الأثرياء في المجتمع بأسره.

٧- الحب والتحديث

يعكس انتشار عيد الحب بامتياز غموض المرحلة الراهنة؛ من حيث إنه يبلور التوترات بين المرجعية الدينية وبين مرجعية التحضر كما بين المفاهيم المتنافسة حول الأصالة والمعاصرة. فنجاح عيد الحب التجاري والإعلامي يسمح بانتشار الصور الرومانسية لدى سكان المناطق الحضرية، وخارجها لدى المصريين جميعهم. تسلم نماذج الحب التي تحظى بدعاية غير مسبوقة بأن التعبير الصريح عن الشعور هو شرط مصداقيته، وتعيد التأكيد على حق الاختيار الفردي الذي يكمن وراء العلاقة بين الطرفين. وإذا كان شعور الحب، في مظاهره النفسية والبيولوجية، ليس جديدًا بالفعل، فإن عيد الحب يظهر التحولات التي تطال إطار التعبير عنه. خلف ظاهرة الطبقة الذي تكلمنا عنه، يتيعن علينا أن نحاول فهم الصدى الذي واجهته مثل هذه المفاهيم في المجتمع المعاصر.

يسمح تعدد معاني الحب بأنواع من الترقيع والتسوية. نجد ذلك مع موضوع التسويق، كما رأينا، وأيضًا باعتبار الحب موضوعًا رئيسيًّا يحظى بالأهمية في خطاب المختصين في ميدان التطوير الذاتي وعلم



النفس. في الإطار نفسه سنجد هناك تثمينًا للمشاعر والانفعالات لدى عدد من الدعاة التلفزيونيين. ويؤدي اعتبار الحب شعورًا مطلقًا، وغير أناني، ولا مفر منه، إلى تشجيع على عمليات الترقيع. وتضع هذه الوضعية الشباب في مواجهة خطابات متناقضة وتولد توترات. بعض الشيوخ أنفسهم، وبسبب من الشهرة التي حققوها، يجدون حياتهم العاطفية وقد تحولت إلى موضوع عام من قبل الصحافة.

ينبغي النظر هنا في العلاقة المتبادلة بين الحب، والتعليم، والتعبير عن الذات في سياق الإصلاحية التحديثية السارية في مصر. يبدو الحب كأداة متميزة للذاتية والفردية، لكن مشاركة الفرد تمثل عنصرًا أساسيًا في مشروع الإصلاح؛ بحيث ينبغي على الجميع أن يشعر بمسئولياته اتجاه الجماعة. إن هذا التحديث يعتبر تحديثًا وظيفيًا في عمقه، فالكل مدعو إلى التآزر؛ لأجل الصالح العام، بمجرد أن يتحقق الإصلاح. الجماعة في حد ذاتها، سواء تعلق الأمر بالدولة أو بالأمة، يتم استثمارها عاطفيًا بقوة، والنتيجة هي إصرار متزايد على ضرورة التعبير عن المشاعر تجاهها. التعبير عن العاطفة وعن محبة الله في الدين تصبح هي الأخرى ذات قيمة عالية جدًا، لا سيما عبر استحضار الدموع التي تذرف خلال الدروس الدعوية أو خلال تلاوات القرآن الكريم.

يترافق التحديث مع العاطفة، أوالقومية، أوالدين، في مشهد يعيد إلى الأذهان ذلك الخطاب الرومانسي الألماني الذي تشكل في القرن التاسع عشر. والسؤال هنا هو كيف ينتقل المرء من الحماسة تجاه الوطن أو تجاه حب الله نحو المشاعر الموجهة للحبيب. هنا يترك الغموض الذي يطال المفاهيم المجال لصراعات رمزية مفتوحة أحيانًا وضمنية أحيانًا أخرى بهذا الشأن، فبين عاطفة مفردنة وفردانية عاطفية، أي بين التعبير المثمن عن المشاعر التي من المفترض أنها تسمح بالترابط بين الفرد والجماعة؛ لأجل مستقبل أفضل من جهة، وبين السعي نحو الاكتمال العاطفي باسم الفرد من جهة ثانية، فإن الروابط هنا هشة جدًا لكنها حاضرة بقوة. فإذا كانت المصالح الفردية ومصلحة الجماعة لا تترابط بالفعل بشكل ميكانيكي، فإن الخطاب الليبرالي يعزز مثل هذا الطريق المختصر؛ بحيث يظهر الحب كما النجاح اليوم في مصطلحات تنتمي إلى مخيال علامته الدالة على مرجعية مدنية موسومة بالتأكيد على الكوزموبوليتانية، وفي الوقت نفسه الإصرار على البقاء مصريًا رغم كل شيء. يفترض بهذا أن مستقبل الأمة يحمله متعهدون شباب مزودون برأس مال كوزموبوليتاني. إن عيد الحب يقدم الفرصة لنسبة كبيرة من السكان؛ للتعبير عن مشاعرهم، وهم في الوقت نفسه يعبرون عن نفس التطلعات التي يحملها هؤلاء السكان جميعًا.



المراجع

إبراهيم، صنع الله. **ذات: رواية**. د.م.: دار المستقبل العربي، ١٩٩٨.

أمين، مصطفى. **ميت فكرة وفكرة**. القاهرة: أخبار اليوم، [١٩٨٩].

السنى، رجا. **بنات الرياض: رواية**. بيروت: دار الساق، ٢٠٠٧.

شحاتة، محمد سعد. **هوامش خارج متن: شعر**. القاهرة: الحياة المصرية العامة للكتاب، [٢٠٠٢].

Abu-Lughod, Janet. **Cairo: 1001 Years of the City Victorious**. Princeton: Princeton University Press, 1971.

Abu-Lughod, Lila. **Dramas of Nationhood: The Politics of Television in Egypt.** Cairo: The American University in Cairo Press, 2005.

Abu-Lughod, Lila. **Veiled Sentiments: Honour and Poetry in a Bedouin Society**. Cairo: American University in Cairo Press, 1996.

Armbrust, Walter. **Mass Culture and Modernism in Egypt**. Cambridge: Cambridge University Press,1996.

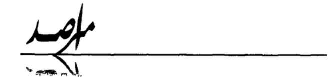
Bayat, Asef. "Islamism and the Politics of Fun". **Public Culture** XIX, no. 3 (2007): 433-459.

Bochow, Astrid."Valentine's Day in Ghana: Youth, Sex and Secrets". In **Generations in Africa**, edited by Erdmute Alber et al., eds. Hamburg: LIT Verlag, 2008.

Bourdieu, Pierre. **Réponses: Pour une anthropologie réflexive**. Paris: Seuil, 1992.

City of Angels. Directed by Brad Silberling. United States, 1998.

Cole, Jennifer, and Lynn Thomas, eds. **Love in Africa**. Chicago: University of Chicago Press, 2009.



Crighton, Millie. "'Sweet Love' and Women's Place: Valentine's Day, Japan Style". **Journal of Popular Culture** XXVII, no. 3 (1993):. 1-20.

Elkamel, Farag. "Dialogues with the Future: Findings of a Study on Adolescents in Three Egyptian Governorates". In **Changing Values Among Youth: Examples from the Arab World**, S. Hegasy and E. Kaschl. Berlin: K. Schwarz, 2007: 75-86.

Farag, Iman. "Quand "l'éducation forme la jeunesse": La construction d'une catégorie en Egypte". In **Jeunesses des sociétés arabes: Par-delà les menaces et les promesses**, M. Bennani-Chraibi and I. Farag. Le Caire: Aux Lieux d'Être, 2007: 49-78.

Hart, Kimberly. "Love by Arrangement: The Ambiguity of (Spousal choice) in a Turkish Village". **Journal of the Royal Anthropological Institute** 13 (2007): 345-362.

Joseph, Suad, ed. **Intimate Selving in Arab Families: Gender, Self and Identity**. Syracuse: Syracuse University Press, 1999.

Kaur, Kulwinder. "Postmodernity and Popular Culture in Amristar". **Indian Social Science Review** 6, no.1 (2004): 107-149.

Kelly, Henry. **Chaucer and the Cult of St. Valentine**. Leiden: Brill, 1986.

Kholoussy, Hanan. **For Better For Worse: The Marriage Crisis That Made Modern Egypt**. Stanford: Stanford University Press, 2010.

Koning, Anouk de. **Global Dreams: Class, Gender, and Public Space in Cosmopolitan Cairo**. Cairo: AUC, 2009.

Lagrange, Frédéric. **Musiques d'Egypte.** Paris: Cité de la Musique, 1996.

Marsden, Magnus. "Love and Elopement in Northern Pakistan". **Journal of the Royal Anthropological Institute** 13 (2007): 91-108.

Masquelier, Adeline. "The Scorpion's Sting: Youth, Marriage and the Struggle for Social Maturity on Niger". **Journal of the Royal Anthropological Institute** 11 (2005): 59-83.

Nelli, René. **L'érotique des troubadours**. Toulouse: Privat, 1963



Oruch, Jack. "St. Valentine, Chaucer, and Spring in February". **Speculum** 3 (1981): 534-565.

Padilla, Mark B., et al., eds. "Introduction: Cross-Cultural Reflections on an Intimate Intersection". In **Love and Globalization: Transformations of Intimacy in the Contemporary World**. Nashville: Vanderbilt University Press, 2007.

Schmidt, Leigh Eric. "The Fashioning of a Modern Holiday: St. Valentine's Day, 1840-1870". **Winterthur Portfolio** 28, no. 4 (1993): 209-245.



وحدة الدراسات المستقبلية

للإستعلام

تليفون: ٤٨٣٩٩٩٩ (٢٠٣)+ داخلي: ٥١٣٢

فاكس: ٤٨٧٩٢٥٢ (٢٠٣)+

بريد إلكتروني: marasedjournal@bibalex.org